جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الموقف من الآخر في شعر عُروة بن الورد

الدكتور
عصمت محمد أحمد رضوان
الأستاذ المساعد فى قسم الأدب والنقد
فى كلية اللغة العربية بجرجا

العدد السابع عشر
للعام ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م
الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٦٩٤٠/ ٢٠١٣م

الترقيم الدولى :ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه .

أما بعد

فإن الشعر الجاهلى كان ولا يزال ينبوعًا ثرًا ينهل منه الباحثون؛ لغزارة مادته، وتعدد فنونه ، وثرائه من الوجهتين الموضوعية والفنية .

وقد كان شعر صعاليك الجاهلية أدبًا من طراز فريد ؛ لأنه أدب جماعة من الناس حملوا صفاتٍ خلقية جليلة، ومعانى إنسانية رائعة، على الرغم مما كانوا يعانونه من جفوة المجتمع وقسوة الحياة .

وكان (عروة بن الورد) واحدًا من أولئك الشعراء الصعاليك ، الذين مثَّل شعرهم حياتهم ، ومجتمعهم ، ونفوسهم أصدق تمثيل .

وقد تجلَّى من خلال شعر (عروة) موقفه من الآخر بوضوح ، وذلك على اختلاف مستويات هذا الآخر ، فنرى فى شعره موقفه من الآخر الإنسان ، والآخر الحيوان ، ثم الآخر الجماد .

وهذا الموقف من الآخر عند (عروة بن الورد) موقف شديد التميُّز والخصوصية، عبَّر عنه فى شعر فائق الجودة والإتقان، الأمر الذى يجعله مادة ثرية للبحث والدراسة .

وقد جعلتُ عنوان البحث (الموقف من الآخر فى شعر عروة بن الورد).

وقد قسمته إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة :

التمهيد : ويضم ثلاثة محاور :

- المحور الأول : مفهوم الآخر فى الأدب .
- المحور الثانى : الصعلكة بين الدلالة الاجتماعية والاستعمال الأدبى.
- المحور الثالث : عروة بن الورد : حياته وشاعريته .

الفصل الأول : الموقف من الآخر الإنسان، ويضم ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : الآخر القبيلة .
- المبحث الثانى : الآخر الصديق .
- المبحث الثالث : الآخر المرأة .

الفصل الثانى : الموقف من الآخر الحيوان . ويضمن مبحثين :

- المبحث الأول : الحيوانات الأليفة .
- المبحث الثانى : الحيوانات المفترسة .

الفصل الثالث : الموقف من الآخر الجماد ، ويضم أربعة مباحث :

- المبحث الأول : أدوات الحرب .
- المبحث الثانى : الأحجار والحصى .
- المبحث الثالث : أدوات الضيافة .
- المبحث الرابع : المواضع والأمكنة .

الخاتمة : وفيها خلاصة البحث وأهم نتائجه .

والله أسأل أن يكون هذا البحث من قبيل العمل الصالح ، والعلم النـــافع ؛ إنه أعز مأمول وأكرم مسئول .

وما توفيقى إلى بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الباحث

تمهيد

المحور الأول : مفهوم الآخر فى الأدب

فيما يأتي أتناول بشكل موجز المفهوم اللغوي والاصطلاحي للآخر ، تتضح الحدود التي تحيط بالآخر في هذه الدراسة :

مفهوم الآخر في اللغة :

جاء في مختار الصحاح "(الآخر) بفتح الخاء أحد الشيئين"(١)، وجاء في لسان العرب وغيره: "الآخر بمعنى غير كقولك: رجل آخر وثوب آخر"(٢).

ومن خلال هذا المعني اللغوي لمفهوم الآخر يتضح أنه المقابل لك ، وهو الشريك الذي يقع في المقابل منك في كل شيء ، فقد تكون الغيرية غيرية مشاركة ، كما قد تكون غيرية اختلاف ومفارقة (٣) .

مفهوم الآخر في الاصطلاح :

الآخر بالمد وفتح الخاء المعجمة : اسم خاص للمغاير بالشخص ، وبعبارة أخرى اسم للمغاير بالعدد ، وقد يطلق على المغاير في الماهية أيضا (٤)..

ويتضح للباحث من خلال هذه المعاني أن الآخر هو مرادف لكل ما هو مقابل لك ومغاير لك، سواء أكان إنسانا، أم حيوانا، أم جمادا .

وعلى هذا فموقف الشاعر من الآخر يعنى موقفه من غيره، إنسانًا كان أو حيوانًا أو جمادًا .

---

(١) مختار الصحاح للرازى ص ١٥ – تحقيق يوسف الشيخ – ط المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

(٢) لسان العرب لابن منظور ٤ / ١٢ – ط دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤١٤، وتاج العروس للزبيدى١٠/ ٣٤ – ط دار الهداية – دون إشارة إلى تاريخ الطبع.

(٣) انظر : الصعاليك والمجتمع الجاهلى – بحث لعبد الله محمد طاهر – منشور فى مجلة التراث العربى – دمشق – العدد ١٢٠ – نيسان (أبريل) ٢٠١١ م – ص ١٧٢ .

(٤) راجع: كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن على التهانوى ١ / ٧١ – مكتبة لبنان ١٨٨٦م، وصورة الأنا والآخر فى شعر مصطفى محمد الغمارى – رسالة ماجستير للباحثة / سلاف بوحلايس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الجزائر ٢٠٠٩ م – ص ٦ وما بعدها .

المحور الثانى : الصعلكة بين الدلالة الاجتماعية والاستعمال الأدبى

إن الناظر في التاريخ العربي – خاصة القديم منه – تتر اءى له العديد من الظواهر الاجتماعية التي تلفت النظر، وتشدّ إليها وعي الدارس لهذا التاريخ، ومن هذه الظواهر على سبيل المثال : الصعلكة ، الشعوبية ، الاعتزال ، وغيرها من الظواهر التي استرعت الانتباه ، فأقبل عليها الدارسون يجلون حقيقتها ، ويؤصلون لوجودها ، وفي هذه الدراسة التي تتصدر لبحث وتحليل ظاهرة من الظواهر الأدبية وهي الآخر عند واحد من أشهر الشعراء الذي كانت لهم رؤية اجتماعية متميزة تمثلت في ظاهرة (الصعلكة) ، يجدر قبل الخوض في الدراسة التعريف والتأصيل والتأريخ لهذه الظاهرة بوصفها الإطار النفسي والاجتماعي الذي ينعكس لا محالة علي شعرية وأداء عروة ابن الورد الأدبي .

الدلالة اللغوية والاجتماعية للصعلكة.

جاء في جمهرة اللغة: "أصل الصّعلكة الْفقر"(٥)، وجاء في تهذيب اللغة: "الصُعْلوك، والجمع الصعاليك: هم قوم لَا مَال لَهُم وَلَا اعْتِمَاد. يُقَال: تصعلك الرجل إِذا كَانَ كَذَلك"(٦)، وجاء في اللسان: "تصعلكت الإبل: خرجت أوبارها وانجردت وطرحتها"(٧).

يقول الدكتور/ عبدالحليم حفني معلقا على هذه المعاني اللغوية للصعلكة : "وفي هذا نرى أن المعنى المباشر للصعلكة هو الفقر، وأنها في استعمالاتها الأخرى تدور حول الفقر"(٨).

ويذهب الدكتور / شوقي ضيف إلى أن الصعلكة قد اكتسبت تطورا دلاليًّا واجتماعيًّا على يد عروة بن الورد إذ يقول فقد اتخذ من صعلتكه بابًا من أبواب

---

(٥) جمهرة اللغة لابن دريد الأزدى ٢ / ١١٩٩ – تحقيق / رمزى منير بعلبكى – ط دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .

(٦) تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى ٣ / ١٩٣ – تحقيق / محمد عوض مرعب – طبعة دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .

(٧) لسان العرب ١٠ / ٤٥٦ .

(٨) شعر الصعاليك : منهجه وخصائصه – للدكتور/ عبدالحليم حفنى ص١٨، ١٩ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٨٧ م .

المروءة والتعاون الاجتماعي بينه وبين فقراء قبيلته وضعفائها، ومن أجل ذلك لقب (عروة الصعاليك) لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم وضاقت بهم الدنيا(٩).

- **الصعلكة في الاستعمال الأدبي.**

ذكر الدكتور / يوسف خليف أن معنى الصلعكة في الاستعمال الأدبي يدور في نطاق الدائرة اللغوية ؛ حيث يستعمل التصعلك في معنى الفقر، لكن الصعلكة أحيانا أخرى ترد في بعض المواضع، ولكن مفهومها الذي يتفق مع السياق لا يتفق تماما مع مفهومها اللغوي . فهذا عمرو بن براقة الهمداني يُغير على إبله وخيله رجل من مراد، فيذهب بها، فيأتي عمرو فيُغير على المرادي فيستاق كل شيء له ، ويقول:

تقولُ سليمى: لا تعرض لتلفة ∴ وليلكَ عن ليلِ الصعاليكِ نائمُ
وكيف ينامُ الليلَ منْ جُلُّ مالِهِ ∴ حسامٌ كلونِ الملحِ أبيضَ صارمُ
ألمْ تعلمي أنَّ الصعاليكَ نومهُم ∴ قليلٌ إذا نامَ الخليُّ المُسالمُ

فمن الواضح أن الصعاليك هنا هم أولئك المشاغبون المغيرون أبناء الليل الذين يسهرون لياليهم في النهب والسلب والإغارة .

كما يرد معنى الصعاليك ولا يُراد الفقراء، ولكنهم طوائف من قطاع الطرق كانوا منتشرين في أرجاء الجزيرة العربية، كما جاء تعبير "صعاليك العرب"، مرادًا بهم طبقة متميزة من طبقات المجتمع الجاهلي(١٠).

ثم ينتهي بعد ذلك إلى " أن مادة "صعلك " تدور في دائرتين : إحداهما " الدائرة اللغوية " التي تدل على معنى الفقر، وما يتصل به من حرمان في الحياة، وضيق في أسباب العيش ، والأخرى يمكن أن يُطلق عليها "الدائرة الاجتماعية

(٩) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) – للدكتور / شوقى ضيف ص ٣٧٥ – ط دار المعارف بالقاهرة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
(١٠) انظر : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي – للدكتور / يوسف خليف ص ٢٤ وما بعدها – ط دار المعارف بالقاهرة – الطبعة الرابعة .

"وفيها تبدو المادة تتطور لتدل على صفات خاصة تتصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه، وبالأسلوب الذي يسلكه في الحياة لتغيير هذا الوضع"(١١).

ومن خلال العرض السابق نجد أن الأصل اللغوي لكلمة الصلعكة ارتبط في مرحلة ما بالمعنى الاجتماعي، إلا أنه لم يلازمه على الدوام ، فقد تطورت دلالة الكلمة على المستوى الاجتماعي فلم تعد تدل على الفقير أو الذي لا يجد ما ينفقه، وتعدت ذلك إلى هؤلاء الذين اتصفوا بالشجاعة والفتوة وغيرها من الصفات النبيلة .

ومن خلال هذه العرض للمعنى اللغوي، والدلالة الأدبية للصعلكة ، وما اتضح من خلال هذه العرض من العلاقة الوثيقة بين معنى التصلعك في اللغة وما طرأ عليه من تطور اجتماعي تَجَسَّدَ أبرز تجسُّد في الشاعر عروة بن الورد ، حيث جمع عروة بين معنى الصعلكة اللغوي حيث كان فقيرا ، وبين دلالتها الاجتماعية بما تميز به من أبواب المروءة والتعاون الاجتماعي بينه وبين فقراء قبيلته وضعفائها .

(١١) السابق ص ٢٦ ، ٢٧ .

المحور الثالث : عروة بن الورد : حياته وشاعريته :

نسبه وحياته :

هو: عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن ليدم ابن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس، فهو من هذه الناحية في شرف من قبيلته، ولكن أباه كانت عبس تتشاءم به؛ لأنه هو الذي أوقع الحرب بينها وبين فزارة بمراهنته حذيفة(١٢).

ورغم ذلك فقد كان أبوه من شجعان قبيلته وأشرافهم، ومن ثم كان له دور بارز في حرب داحس والغبراء ، أما أمه فكانت من نهد من قضاعة، وهي عشيرة وضيعة لم تعرف بشرف ولا خطر ، فآذى ذلك نفسه ؛ إذ أحس في أعماقه من قِبلها بعارٍ لا يُمحى، فهي عاره الذي حلت البلية عليه منه ، والذي دفعه دفعًا إلى الثورة على الأغنياء، وهي ثورة كانت مهذبة ، إذا لم يتحول إلى سافك دماء ولا إلى متشرد يرود مجاهل الصحراء؛ فقبيلته لم تخلعه ، بل ظل ينزل فيها مرموق الجانب لسيرة كانت تروع معاصريه ومن جاءوا بعدهم ، إذ اتخذ من صعلكته بابًا من أبواب المروءة والتعاون الاجتماعي بينه وبين فقراء قبيلته وضعفائها، ومن أجل ذلك لُقِّبَ (عروة الصعاليك) لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم وضاقت بهم الدنيا .

كان عروة بن الورد ؛ إذا أصابت الناس سنة -أزمة جدب- شديدة وتركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة، ثم يحفر لهم الأسراب ، ويكنف عليهم الكنف - الحظائر- ويكسبهم، ومن قوي منهم - إما مريض يبرأ من مرضه أو ضعيف تثوب قوته - خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيبًا، حتى إذا أخصب الناس وألْبَنُوا وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله، وقسم له نصيبه من غنيمة إن

---

(١٢) انظر : الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ٣ / ٧٣ - طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٤ م ، والأعلام لخير الدين الزركلى ٤ / ٢٢٧ - ط دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الخامسة عشرة .

كانوا غنموها؛ فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى؛ فلذلك سمي عروة الصعاليك .

وفي خبر آخر أن عبسًا كانت إذا أجدبت أتى ناس منها ممن أصابهم جوع شديد وبؤس فجلسوا أمام بيت عروة؛ حتى إذا أبصَروُا به صرخوا، وقالوا : أيا أبا الصعاليك أغثنا ؛ فكان يرق لهم ويخرج بهم فيصيب معاشهم.

وعروة بذلك كله يعبر عن نفس كبيرة، فهو لا يغزو للغزو والنهب والسلب كالشنفرى وتأبط شرًّا، وإنما يغزو ليعين الهُلَّاك والفقراء والمرضى والمستضعفين من قبيلته ، والطريف أنه لم يغير على كريم يبذل ماله للناس بل كان يتخير(١٣).

إن الناظر في سيرة عروة بن الورد يجد أنه تميز بالعديد من الصفات على المستوي الإنساني، فقد كان فارسا من فرسان الجاهلية المعدودين ، وقد لُقِّب بعروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع صعاليك العرب ، ويقوم بأمرهم ، ويرعى أحوالهم، فقد جسد عروة بهذه الأخلاقيات الراقية في مضمونها قيم النبل الحقيقي حيث شملت أخلاقه الصعاليك وتخطتهم إلى كل محتاج وفقير ومسكين .

أما عن شاعريته فقد كان من كبار شعراء الجاهلية ، وقد اتسم شعره بعدة سمات ، ومن ذلك :

– أن شعر عروة يعد تسجيلا لوقائع حياته وتعبير عن طباعه وأخلاقه ، فقد صور شعره شجاعته وجوده وكريم نفسه .

– أن شعر عروة تميز بلطف وقبول لدى السامع ، فهو لم يقف على الأطلال ولم يهِم بالمحبوبة ، ولم يصف جوادا أو ناقة أو غير ذلك ، وبهذا يمكن القول إننا أمام شاعر مجدد خرج عن الأطر النمطية للشعر الجاهلي ، وهو أمر يلائم طبيعة عروة الإنسانية فهو رجل حر منطلق يرفض السلطة والتسلط ،

(١٣) انظر : الأغانى ٣ / ٧٨ وما بعدها ، وتاريخ الأدب العربى (العصر الجاهلى) للدكتور/ شوقى ضيف ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

ويرفض القهر والاستبداد ، يرفض الجو والظلم الاجتماعي ، يقف بجوار المرضى والضعفاء ، فضلا عما اتسم به شعره من تناوله لأغراض إنسانية بحتة .

– إن شعر عروة تميز بما تميز به شعر الصعاليك بوجه عام من وحدة الموضوع، فشعرهم في التصعلك من جميع نواحيه، كما نلحظ أن شعرهم يتجافى عن الحب وقل أن نجده في شعرهم ، كما نلحظ في شعرهم التدفق والسرعة إذ كانوا مشهورين باسم العدائين ، فكأنهم يعدون بأرجلهم ، ويعدون في شعرهم ولعل ابرز ملامح ذلك أن أكثر شعرهم جاء رجزا ، والرجز أسرع من البحور الأخرى، وبذلك يمكن القول إن شعرهم جاء خير مثال لتصوير حياتهم في بساطة وإخلاص(١٤).

(١٤) انظر : الصعلكة والفتوة في الإسلام – لأحمد أمين – ص ٢٦ – ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢ م .

الفصل الأول
الموقف من الآخر الإنسان

الإنسان كائن اجتماعي بالفطرة كما خلقه الله تعالى يعيش في مجتمع يتمثل في الشعوب والقبائل كما قال الحق – سبحانه –: "وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"(١٥).

إن الغاية الأسمى التي من شأنها تفاعل الإنسان مع غيره من بني البشر هي التعارف ، وهكذا يظل الإنسان يتعايش مع هذه المجتمع الذي يحيا فيه ، ويتفاعل معه ، يؤثر فيه تارة ، ويتأثر به تارة أخرى ، يقبله تارة ، ويرفضه تارة أخرى ، ويظل هذا الجدل بين الإنسان ومجتمعه على مستويات متعددة على مستوى الفرد، وعلى مستوى القبيلة، وعلى مستوى النوع كالموقف من المرأة.

وفي ظل هذا التنوع أحاول أن أكشف النقاب عن موقف عروة من المجتمع على اختلاف مستوياته ، وهل كان موقفه موقف مخالفة أو توافق أم حياد ؟

وفيما يأتي محاولة لوضع تصور لأشكال الآخر الإنسان في شعر عروة ابن الورد :

(١٥) من الآية (١٨) سورة الحجرات .

المبحث الأول
الآخر القبيلة

القبيلة: هم القوم الذين يجمعهم نسب واحد ، جاء في لسان العرب : "معنى القبيلة الجماعة، يقال لكل جماعة من واحد قبيلة ، ويقال لكل جمع من شيء واحد قبيل " (١٦) ، وبهذا يفهم بأن القبيلة هي تلك البيئة الخصبة التي ينمو فيها الشخص، وإليها ينتمي، ووسطها يعيش حياته، ويكون لها ولاؤه وانتماؤه، وتمثل علاقة عروة بالقبيلة حجر الزاوية فى حياته وشعره، ولعلها تكون أبرز وأوضح صور علاقة الصعلوك بالآخر في شعر الصعاليك، وقد اتخذت هذه الصورة عدة أشكال ارتبطت بطبيعة علاقة الصعلوك بالقبيلة ، وبالنظر إلى شاعرنا عروة بن الورد نجد أن موقفه من القبيلة لم يكن ذلك الموقف الأحادي الشكل، بل اتخذ مواقف متعددة من قبيلته ، فتارة نجد علاقته بالقبيلة علاقة تخالف وعدم موافقة :

وفي هذا الشكل من أشكال علاقة الصعلوك بقبيلته نجد خروجًا على العلاقة الطبيعية بين الفرد وقبيلته مما يؤدي إلى إحداث قطيعة بينهما، ينتج عنها تمرد الصعلوك على القبيلة، وخلع القبيلة لهذا الصعلوك مما ينعكس على شعر الصعلوك، ويظهر في تصوير هؤلاء الشعراء الصعاليك لرأيهم في القبيلة في أشعارهم(١٧) ، فها هو ذا عروة يوضح أسباب هذا التمرد ، وأهمها ما لاقاه عروة ابن الورد من قومه من معايرة بسبب نسبه ، فقد عيروه بأن أمه غريبة، وهو يرى أن الكريم الماجد لا يقدح فيه أن أمه غريبة ، كما عيروه عندما كان فقيرا على فقره ، ثم على جمعه المال بالنهب والسلب إن عروة عاش في قبيلته حياة كلها هموم ومعاناة وكلها جفاء وازدراء ، إن رفضه كان بسبب رفض هؤلاء الناس له .

(١٦) انظر : لسان العرب ١١ / ٥٤١ .
(١٧) راجع : الصعاليك والمجتمع الجاهلي ص ١٨٣ .

إن عروة بن الورد الفارس الشهم الذي جسد العديد من قيم العرب في نجدة الضعفاء ، ومساعدتهم يبدو أحيانًا متمردا على قبيلته ، فلماذا يتمرد هذا الفارس النبيل على قبيلته، والأولى به أن يكون متوافقا معينا لها ؟

إن الإجابة تكمن في أبيات عروة الرائعة التي أجلت لنا وبكل وضوح السبب في هذا التمرد :

– إنها معايرة قومه له وهذه المعايرة له تجلت في أكثر من جانب ، ولعل أهم هذه الجوانب هو معاريته بأمه التي كانت غريبة ، وكانت سببا جوهريا في معاناة عروة النفسية ، يضاف إلى ذلك أنهم عيروه بفقره تارة ، وبجمعه المال تارة أخرى ؛ لأنه جمعه من النهب والسلب .

يقول مصورا هذه المعاناة(١٨):

هُمْ عيّرُوني أنّ أُمّي غريبةٌ ∴ وهلْ في كِريمٍ ماجدٍ ما يُعيَّرُ ؟

وقدْ عيَّروني المالَ حين جمعتُهُ ∴ وقدْ عيَّرُوني الفقرَ إذْ أنا مقترُ

وعيّرني قومي شَبابي ولِمّتي ∴ متى ما يشَا رهطُ امرىء يتعيرُ (١٩)

ورغم هذا الجفاء الذي وجده عروة من قبيلته بسبب موقفهم من أمه ، إلا أننا لم نعدم أن يقف عروة الفارس الشجاع المغوار أن يقوم بدور يتميز بالإنسانية والرحمة والتعاطف مع القبيلة .

وقد ظهرت هذه النزعة الاجتماعية بشكل واضح عند عروة بن الورد ، الأمر الذي جعل الدكتور/ خليف يقول: " على هذا النحو كانت الصعلكة عند عروة نزعة إنسانية نبيلة ، وضريبة يدفعها القوي للضعيف، والغني للفقير، وفكرة اشتراكية تشرك الفقراء في مال الأغنياء ، وتجعل لهم فيه نصيبًا ، بل حقًّا يغتصبونه إن لم يؤد لهم، وتهدف إلى تحقيق لون من ألوان العدالة الاجتماعية ،

(١٨) انظر : شرح ديوان عروة بن الورد العبسى لابن السكيت ص ١٣١ – ط كلية الآداب بالجزائر – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(١٩) ديوان عروة بن الورد ص٤٠ – دار صادر – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

والتوازن الاقتصادي بين طبقتي المجتمع المتباعدتين : طبقة الأغنياء ، وطبقة الفقراء ، " فالغزو والإغارة للسلب والنهب " لم يعد عنده وسيلة وغاية، وإنما أصبح وسيلة غايتها تحقيق نزعته الإنسانية وفكرته الاشتراكية " (٢٠).

كما أن هذه العلاقة بين عروة بن الورد والآخر القبيلة اتخذت شكلا آخر من أشكال هذا التكامل ، وهو الاعتراف بالسيادة ، والإقرار بها . ومن نماذج هذا الاعتراف قوله مقرا بالسيادة لربيع بن زياد العبسي زعيم قبيلته ، ورفضه عقوقه رغم تحريض زوجه على هذه العقوق قائلا :

لكلّ أُناسٍ سيّدٌ يَعرِفونَهُ ∴ وسيدُنَا حتى المماتِ ربيعُ

إذا أمرَتني بالعُقوقِ حلِيلتي ∴ فلمْ أعصِها ، إني إذاً لَمَضِيعُ (٢١)

ثم نجد عروة في موطن آخر يقر أنه لن يترك إخوانه من بنى قبيلته للموت ما دام على قيد الحياة ، ويشبه حاله في ذلك بمن أصابه العطش ووجد الماء ، فإنه لا يتركه مهما حدث . يقول مصورا ذلك :

فَلا أتْرُكُ الإخوانَ ما عشتُ للرَّدَى ∴ كَمَا أنَّه لا يتركُ الماءَ شاربُه (٢٢)

كما ضرب لنا نماذج أخرى تصور مدى توافقه مع القبيلة وتعاطفه معهم حيث عبر عن موقفه الإنساني من ضعفاء قبيلته إذا ما أصابهم القحط والجفاف ونال منهم الجوع ، فيدركهم وهم هزلى من شدة الجوع ، فيقوم على أمرهم حتى يقودوا ويخصبوا وتحسن أحوالهم (٢٣) .

ومن أبرز أشعاره المعبرة عن هذا التلاحم والتراحم بينه وبين قبيلته قوله:

ألا إنّ أصحابَ الكنيفِ وجدتُهم ∴ كما الناسِ لما أَخْصَبُوا وتَمَوّلُوا

وإنّي لَمدفوعٌ إليّ ولاؤهم ∴ بماوان (٢٤) إذ نمشي وإذ نتململ (٢٥)

(٢٠) راجع : الشعراء الصعاليك – للدكتور / يوسف خليف ص ٤٩ .
(٢١) الديوان ص ٤٩ .
(٢٢) الديوان ص ١٩ .
(٢٣) انظر : شرح ديوان عروة بن الورد العبسى ص ١١٣ .
(٢٤) ماوان : اسم موضع .

المبحث الثاني
الآخر الصديق

تمثل الصداقة في المجتمع الجاهلي قيمة عظيمة؛ حيث إن الأصدقاء هم من يقفون بجوار بعض في المحن، ويساعد كل منهم الآخر، وتظهر معادن الأصحاب في الشدائد، فعندها يبرز الصديق الحق من الصديق الزائف، وما من شك فى أن الشدائد هي تبين العدو من الصديق، أما عن عروة فقد كانت له مواقف متعددة في هذا الشأن، حيث يقدم لنا في بعض نماذجه الشعرية وصفًا لعلاقته بالأصحاب بأنها (علاقة زعامة وقيادة).

يتحدث عروة كثيرا عن أصحابه، ولكنه حديث الزعيم أو القائد، لا حديث الرفيق أو الزميل، فهو يدعوهم إلى الخروج معه للغزو والغارة [٢٦] ، إن عروة قد عاش حياة الزعامة لا تفارقه ، فهو لا يقف رفيقًا لأصحابه ، وإنما يبعث أحدهم ليرقب لهم الطريق فوق المرتفعات " [٢٧] .

فنجده يخاطب أصحابه خطاب الزعيم والقائد الذي يدعو رفاقه للغزو والإغارة ، ويحثهم على ذلك بترغيبهم في أن يحاولوا الوصول بهمهم إلى همته ، ولكنه يستبعد أن يدركوا ذلك .

وهو في محاولته هذه يقدم نفسه كمثل أعلى لهم ، فيقول: إن بقائه حتى يدب على العصا أمر يجعل أعدائه يشمتون به ، وأهله يسأمون وجوده ، وهو يشير إلى أن موته غازيا هو الأفضل والأشرف لفروسيته وقوته .

---

(٢٥) الديوان ص ٥٦ ، ٥٧ .
(٢٦) انظر : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص ٢٠٧ .
(٢٧) راجع : السابق ص ١٩١ .

ثم يطلب منهم أن يوجهوا صدروهم للغزو والإغارة ، فإن الموت في هذا المجال أشرف من الهزل والجوع .

ويحثهم على القتال والإغارة بلغة القائد الشجاع المعتز بنفسه بأنهم لن يبلغوا مبلغه من الشجاعة ولا يصلون إلى ما وصل إليه حتى يبلغوا منبت الأثل يقصد بها يثرب أو الجبال ، وفي ذلك حث على الإغارة والقتال (٢٨) . وقد صور ذلك كله في أبياته :

ألـيسَ ورَائـي أنْ أَدُبَّ علـى العَصَـا ∴ فيَشـمتَ أعـدائي ، ويسْـأَمُني أَهْلِـي
رهينـةُ قَعْـرِ البيـتِ ، كـلَّ عشـيّةٍ ∴ يُطيـف بـي الولـدانُ أهـدجُ كـالرَّأْلِ
أقيمـوا بـني لُبْنَـى صُـدُورَ ركَـابِكُم ∴ فكـلُ مَنايـا الـنَّفْسِ خـيرٌ مـن الهَـزْلِ
فـإنَّكمْ لـنْ تبلغُـوا كـلَّ هِمّتِـي ∴ ولا أُربـي حَتَّـى تـروا منبـتَ الأَثـلِ (٢٩)

إن علاقة عروة بأصحابه هنا علاقة متميزة؛ لأن فيها تكاملاً وتوافقًا بين الفارس المقدام الذي يقود فريقه باقتدار، ويقدم لهم القدوة في الشجاعة والبطولة ويرسم لهم النموذج الأمثل ليحتذوا حذوه، إلا أن هذه الحالة لم تكن هي الوحيدة التي طبعت بها علاقة عروة بأصحابه، بل وجدنا أيضا (علاقة لوم وعتاب بين عروة وأصحابه) فها هو ذا يلوم على صاحبيه (بلج وقرة) وكانا معه في أيام الفقر والمعاناة ، ثم أيسرا ، ولما طلب منهما معونته تنكرا له ، فجعل ذلك في نفسه منهما شيئا (٣٠) ، إن سبب موقف عروة من أصحابه هنا هو نكرانهم لحق الصداقة وعدم حفظهم حقوق هذه العلاقة ، وجحودهم لها ، وعدم وقوفهم بجوار عروة وقت الضيق .وفي هذه العلاقة نجد عروة غاضبا ، وعاتبا على الأصحاب لعدم وفائهم ، ها هو ذا يقول :

أيَّ النَّـاسِ آمَـنُ بعـد بِلْـجٍ ∴ وقـرّةَ ، صـاحبيّ ، بـذي طِـلاَلِ
ألمـا أَغْـزَرَت في العُـسِّ بُـرْكٌ ∴ ودَرعَـةُ بنتُهـا ، نَسِـيا فَعـالي ؟

(٢٨) انظر : شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت ص ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٢٩) الديوان ص ٥٤ ، والأهدج : متقارب الخطو ، والرَّأل : فرخ النعام .
(٣٠) انظر : شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

سَـــمِنٌ علـــى الرَّبِيـــعِ فَهُـــنَّ ضُـــبط ∴ لهـــنّ لَبالِـــبٌ تحـــتَ السِّـــخال [٣١]

وفى موقف آخر يشعرنا عروة من ألم ومرارة غصت بحلقه استطاع ببراعة الشاعر الفحل أن يعبر عنها من خلال الكلمات التي صورت حالته النفسية من موقف، هذا الخليل الذي كان عروة منه بمنزلة رفيعة عالية حتى جعله منه بمنزل العين من الإنسان ، وما أشرفها وأغلاها ، هذا الصديق الرفيق أصابته ضلاله ، وانهمك في الجهالة ، فما كان من عروة إلا أن عدل عنه ، وتولى بوجهه مبتعدا عن هذا الصديق الذي غوى وضل، ولم يكتف عروة بمجرد هذا العدول والابتعاد، بل بين له سبب هذا العدول والهجر ، حيث ذكر أنه قد رأى من هذا الصديق أمرا عظيما ، لا يستطيع عروة مع وجود هذا الأمر الاستمرار في صداقته.

وخِـــلٍّ ، كنـــتُ عـــينَ الرُّشـــدِ منـــه ∴ إذا نظـــرتُ ، ومُســـتمعاً سَـــميعا

أطـــافَ بغَيّـــهِ ، فعَـــدلتُ عنْـــه ∴ وقلـت لـه : أرى أمـــــراً فظيعـا [٣٢]

إن الناظر في هذين البيتين يلحظ عدة أمور على درجة كبيرة من الأهمية هي:

- أن عروة صديق صدوق لمن يصدقه، فلما كان هذا الخليل سويّ السيرة، محمود الطريقة كانت علاقة عروة به في منتهى القوة، بل كان عين الرشد، والناصح الأمين له، وهذا من شيم الكرام، وصفات الأخيار.
- أن عروة عندما رأي من هذا الصديق ما يكرهه قرر الميل عنه والابتعاد .
- لم يكتف عروة بذلك البعد ، وإنما قدم بين يدي قراره الأسباب ، وفي ذكره السبب حرص على النصيحة حتى آخر لحظة ، فلعل الصديق عندما يعرف سبب ميل عروة عنه يراجع نفسه ، ويعود لصوابه .

(٣١) الديوان ص ٥٩ ، وذو طلال : اسم ماء ، أغزرت : حلبت حلبًا كثيرًا ، العُسّ : القدح الكبيرة ، برك ودرعة : اسمان لعنزتين ، ضُبط : أقوياء ، لبالب : حنين ، السخال : أولاد العنزة، والمعنى أنهما أكلا خيره حتى سمنا ثم منعاه ما عندهما وقت حاجته لهما.
(٣٢) الديوان ص ٥٠ .

وهذه الأبيات تفسر بشكل واضح السبب في موقف عروة من الآخر، إذ يقتصر على اتخاذ الموقف من هذا الآخر دون تبرير، أو تفسير، حتى يجعل المتلقي على وعي وإدراك لما يفعله، وحتى يكتسب تعاطفه، واتفاقه معه.

وهكذا اختلفت مواقف عروة من الآخر الصديق بين موقف الصداقة الوفية القائمة على الزعامة والقيادة وبين موقف اللوم والعتاب إذا حاد الصديق عن طريق الصداقة المخلصة .

المبحث الثالث
الآخر المرأة

إن المرأة هي ذلك الكائن الذي يتميز بالغموض ، ويجسد كثيرا من المتناقضات في حياة الرجل ، فتارة هي المحبة العاشقة ، التي يرتوي الحبيب من فيض محبتها ، وتارة هي الحافية اللدود التي ترهق قلب محبها ، وتفطره من لوعة البعد وعذاب الفراق ، وتارة هي الزوج المحبة لزوجها الحانية عليه ، وتارة هي الزوجة العاقة لزوجها المضيعة لحقوقه ، وبين هذه وتلك يقف الرجل عموما ، والشاعر خصوصا مواقف متباينة، وقد صور عروة بن الورد علاقته بزوجه في العديد من أشعاره فها هو ذا يصور الحوار الذي دار بينه وبين تماضر زوجه ، وما كان منها عندما رأت ما حل بعروة من الفقر وضيق العيش ، وجفوة الأقارب ، كما يصور لومها له على قعوده وعدم شجاعته وركوبه المخاطر ليصيب غنيمة تغنيه ، وتجعل بقاءه وسط العيال مع الفقر مقبحة ومذمة ، ثم تبرر طلبها هذا بأن في جمع المال مهابة وعظمة تجعل الآخرين يحترمونه ، وفي المقابل من ذلك يكون مع الفقر ذل وانكسار ومهانة ، يقول عروة:

قالتْ تُماضرُ إذ رأتْ مالي خَوى ∴ وجَفَا الأقاربُ ، فالفؤادُ قريحُ
ما لي رأيتُكَ في النّديّ منكَّساً ∴ وَصِباً ، كأنّكَ في النّديّ نَطيح ؟
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ∴ إنّ القُعودَ ، معَ العِيالِ ، قبيح

المـــال فيـــه مهابـــة وتجلـــة ∴ والفَقْـــرُ فِيـــهِ مذلّـــةٌ وفُضُـــوح (٣٣)

إن الأبيات التي وردت عن عروة في رأيي تمثل موقفا سلبيا منه ، فرغم ما ورد عن الزوج من كلمات تحمل في طياتها شيئًا من إهانة واحتقار لعروة على الرغم من أنه زوجها ، وله عليها حق الاحترام والطاعة مهما كانت الظـروف ، لاسيما وعروة هو الفارس الشجاع المشهود له ، إلا أننا نجد عروة يـورد هـذه المعاني دون أن نجد في شعره ردا يتناسب مع رجولته وعربيته ، فقد اكتفي بذكر لومها وعتابها له دون تعليق أو وعد بالعمل والاجتهاد ، وهـذه لعمـري فهـي السلبية المعيبة .

وها هو ذا في موقف آخر يرينا أمرا ملفتا للنظر ، هـو التنـاقض فـي موقف الزوج ، كما نجد تناقضا في موقف عروة ، ففى الأبيـات السـابقة نجـد الزوج اللحوح التي تطالب زوجها بركوب المخاطر طلبا للمال والغنى ، كما نجـد عروة صامتا لا يملك جوابا لكلام زوجه .

بينما في الأبيات التالية نجد الأمور قد اختلفت ، والمواقف قد انقلبـت ، فها هي ذى الزوج تطالب عروة بأن يتوقف عن الغزو والإغارة ، وقد اسـتعملت ما لديها من أسلحة مؤثرة من مقلة ساحرة ، وطرف أحور .

بينما نجد عروة هذا الفارس الشجاع الـذي خـاض المعـارك ، وجابـه المهالك يرد بكل قوة وحسم بأنه اعتاد لقاء الموت ، وأصبح لا يهابـه ، ويتـابع الدفاع عن موقفه حتى يبلغ نهاية الأبيات مقررا حقيقة هى الغاية فى الروعـة ، والنهاية في الجمال ، هي أن ما تراه زوجه من شيب قد كسا رأسه ليس السـبب فيه كبر السن، ومر السنين، بل إن السبب فيه هو المشاهد الجسام التي عاشها ، والمخاطر الجمة التي خاضها :

تقـولُ : ألا أقصـرْ مـن الغـزوِ ، واشـتكى ∴ لهـا القـولَ ، طـرفٌ أحـورُ العـينِ دامـعُ

سـأُغنيكِ عـن رَجـعِ المَـلامِ بمُزْمِـعٍ ∴ مـن الأمـرِ ، لا يَعْشُـو عليـهِ المطـاوعُ

(٣٣) الديوان ص ٢٤ ، خوى : فرغ ، الوصب : المريض .

لبــوس ثيــاب المــوت حتــى إلى الــذى ∴ يُــــوائمُ إمّـــا ســـائمٌ ، أو مُصـــارعُ
إذا أرهنتـــه المـــين شـــدة ماجـــد ∴ فورعهـــا القـــوم الألى ثـــم مـــا صـــعوا
ويـدعُونَني كهـلاً ، وقـد عشـتُ حِقبـةً ∴ وهـــنّ ، عـــن الأزواجِ نحـــوي ، نـــوازعُ
كـــأنى حصـــان مـــال عنـــه جلالـــه ∴ أعـــز ، كـــريم ، حولـــه العـــوز ، راتـــع
فمـا شـابَ رأسـي مـن سـنن تتابعـت ∴ طـــوالٍ ، ولكـــنْ شـــيّبَته الوقـــائعُ (٣٤)

ولي في هذا التناقض تفسير ووجهة نظر ، وهي أن زوج عروة لما رأت شيب رأسه قد ظهر أشفقت عليه ، وخافت أن يصيبه مكروه ، بينما في الأبيات السابقة يبدو أنه كان شابا يافعا لذلك طالبته بالإغارة وركوب الخطر، بينما كان موقف عروة موقف المدافع عنه نفسه ، المفتخر بذاته – هنا – ، لأنه قد جرب الأهوال ، وحنكته السنون ، فأصبح ذا خبرة بها ، فكان من الطبعي أن يكون موقفه إيجابيًّا ؛ حيث دافع ونافح عن كرامته وشجاعته ، في مقابل عدم توافر هذه الخبرة الحياتية في الأبيات الأولى التي لاذ فيها بالصمت، وصاحب السكوت.

كما نراه يطلب من زوجته أن تتركه وشأنه ولا تكثر من لومه وتعنيفه على منهجه الذي نهجه والسلوك التي ارتضاه لنفسه مدافعا عن ذلك في موقف رافض لهذا اللوم قائلا :

أقلـي علـيّ اللـومَ يـا بنـتَ مُنْـذِرٍ ∴ ونامي، وإن لم تشتهي النـوم، فاسهَـري
ذريـني ونفسـي، أُمّ حسّـان، إنّـني ∴ بهـا ، قبـلَ أن لا أملِـكَ البَيـعَ، مُشـتري (٣٥)

وإذا ما انتقلنا إلى امرأة أخرى تردد صدى وجودها في شعر عروة نجد من هؤلاء النساء الجارة ، وقد لفت نظري قول عروة متحدثًا عن حق الجارة في قوله :

---

(٣٤) الديوان ص ٤٨ ، المطاوع : الموافق ، المين : الكذب ، صعوا : قاتلوا ، العوذ : الحديثة النتاج .

(٣٥) السابق ص ٣٥ ، وينظر : المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام – رسالة ماجستير للباحث / أحمد سلمان مهنا ص ٦١ – ط الجامعة الإسلامية غزة – كلية الآداب – قسم اللغة العربية ٢٠٠٧ م .

وإنْ جـــارتي ألـــوَتْ ريـــاحٌ ببيتهـــا ∴ تغافلـتُ ، حتـى يَسـتُرَ البيـتَ جانبُـه [٣٦]

إن هذا البيت من أروع الأبيات التي صادفتها عند قراءتي لشعر عروة ، إن الشاعر يؤكد مدى حفظه لجوار جارته، ومراعاته لحرماتها ، فهو يقول : إن الريح إذا ما هبت وذهبت ببيتها، وألقت به، وكشفت ستره ما كان مـــن شـــاعرنا العربي الأصيل إلا أن يتغافل عن النظر إليها حتى تستر بيتها .

كما نجد عروة قد تكلم عن المرأة السبية : [٣٧] فقد قامت الحيـــاة – فـــي العصر الجاهلي – على الإغارة والهجوم على القبائل المعادية ، وقد كـــان لهـــذه الغارات غنائم ، ومنها غنم النساء ، وهو ما يطلق عليها السبي ، وقد تكلم عروة بن الورد عن هذه السبية في شعره ، وقد استطاع عروة توظيف هذا الحديث عن السبية في إطار الفخر بشجاعته وقوته، فهو يفخر أنه سبى ليلى بنت شـــعواء ، وهي فتاة عذراء، وبقيت عنده زمنا، ولم ترجع إلي أهلها إلا بعد أن شاب شعرها، وتقدم عمرها ، وهذا يدل على منعة الشاعر وقوته ، وفي تعبير بضعف أعدائـــه واجزهم عن استنقاذ سباياهم [٣٨] ، ها هو ذا يقول:

إن تأخُـــذوا أسمـــاءَ، موقـــفَ ســـاعةٍ ∴ فمأخـــذُ ليلـــى، وهـــي عـــذراءُ، أعجـــبُ

لبســـنا زمانـــاً حُســـنَها وشـــبابَها ∴ ورُدّتْ إلى شـــعواء، والـــرأسُ أشـــيبُ

كمأخـــذِنا حســـناءَ كُرْهـــاً، ودمعُهـــا ∴ غـــداةَ اللّـــوى، مغصـــوبةً، يتصَـــبّبُ [٣٩]

كما نجد عروة بن الورد في صورة أخرى من صور السبي يخاطب بني عامر ويقول لمن يلقاهم : أبلغهم أنهم قد بلغوا دار الحفاظ على النسب والشرف ، ثم يقول مفتخرا إنهم عندما غزوا بني عامر استطاعوا أن يسبوا النساء ، مـــنهن

---

(٣٦) الديوان ص ١٩ .

(٣٧) جاء في لسان العرب : " سبي: السبي والسباء: الأسر معروف ، سبى العدو وغيره ســـبيًّا وسباءً إذا أسره ، فهو سبي ، وكذلك الأنثى بغيـــر هـــاء مـــن نســـوة ســـبايا " . اللســـان ١٤ / ٣٦٧ .

(٣٨) ينظر : المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام ص ١٧٣ .

(٣٩) الديوان ص ١٨ .

من كانت تحمل جنينها في بطنها ومنهن من ترضع ، وفي ذلك إشارة إلى كثرة السبايا .

وفي خضم هذه الأحداث تجد المرأة السبية تشق ثيابها من هول ما ترى ، وما تشاهد ، وذلك أنها تعلم علم اليقين أنها لا عودة لها إلى قومها إذا سباها فارسنا (٤٠) ، وفي هذا دليل على شجاعته ومنعته ، وقدرته على حماية غنائمه.

وهذا يؤكد أمرين هما :

- أن عروة انطبع بما جرى في عصره من عادات اجتماعية من غارات وسبي وغيره .
- أن هذا الأمر يؤكد قوة عروة ، ومنعة قومه وشجاعتهم ، وها هو ذا يجسد كل هذه المعاني قائلا :

أبلِغْ لديكَ عامِراً إن لقِيتَها ∴ فقد بلَغت دارُ الحِفاظِ قَرارَها

رحلنا من الأجبال أجبال طيئٍ ∴ نسوق النساء عوذها وعشارها

ترى كلَّ بيضاءِ العوارضِ طَفْلَةٍ ∴ تُفَرّي، إذا شال السماكُ، صِدارَها

وقد علمت أن لا انقلاب لرحلها ∴ إذا تركت من آخر الليل دارها (٤١)

أما الأم فقد تكلم عروة عنها، وقد كان من الطبعي أن تحظى الأم بالاهتمام والرعاية والعناية منه ، فهذا حقها ، وواجب الابن أن يبرها ، إلا أننا أمام عروة بن الورد نجد نموذجا مختلفا من هذه العلاقة ، إن عروة ناقم حانق على أمه ؛ ليس لكونها أمه ، بل لأنها كانت سببا في معايرة قومه له ، فقد كانت من قوم أقل شرفا من قوم أبيه ، وقد تجلت هذه المعاني في بعض مواطن من شعره منها قوله :

هُم عيّروني أنّ أُمّي غريبةٌ ∴ وهل في كريمٍ ماجدٍ ما يُعيَّرُ ؟

(٤٠) ينظر : شرح ديوان عروة بن الورد ص ١٧٠ ، ١٧١ .
(٤١) الديوان ص ٤٣ .

وقد عيروني المال حين جمعته ∴ وقد عيروني الفقر إذ أنا مقتر

وعيّرني قومي شَبابي ولِمّتي ∴ متى ما يشا رهط امرىء يتعيَّرُ (٤٢)

يتجلى في هذه الأبيات المعاناة النفسية التي لاقاها الشاعر بسبب معايرة قومه له ، فقد عيروه بأن أمه غريبة، وهو يرى أن الكريم الماجد لا يقدح فيه أن أمه غريبة ، وكما عيروه بسبب جمع المال ، كما عيروه عندما كان فقيرا على فقره .

إن عروة بن الورد يستطيع من خلال هذه الأبيات أن يكشف عن أهم أسباب ثورته على قبيلته ، وانقلابه عليها ، إن أسباب نفسية اجتماعية بالدرجة الأولى تجلت في هذه العاطفة الغاضبة من موقف قبيلته الذين عيروه بأمه ، وكان من الطبعي أن ينعكس ذلك على موقف عروة من أمه ، فهي سبب معاناته الدائمة التي لا فرار منها :

أعيّرْتُموني أنّ أُمّي تَريعَةٌ ∴ وهل يُنجِبَنْ في القوْم غيرُ التّرائعِ ؟

وما طالِبُ الأوتارِ إلاّ ابنُ حُرّةٍ ∴ طويلُ نجاد السيّفِ، عاري الأشاجعِ (٤٣)

وفي هذه الأبيات نلحظ أمرا مهما ، هو أن عروة يؤكد على تمادي قومه في معايرته بأمه ، وأنها مسرعة إلى الشر ، ثم يرد على هذا الزعم والمعايرة بفخره بنفسه وأنه لا يترك ثأره ، ولا يتخاذل عنه ، وهذا الأمر من شيم الكرام الشجعان وأبناء الحرائر .

وهو هنا نراه يدافع دفاعا مزدوجا عن نفسه أولا ، ثم عن أمه ثانيا ، وقد ذكر أن ما فيه من صفات الشجاعة لا يكون إلا لأبناء الحرائر ، يقصد بذلك أمه .

وإذا ما انتقلنا لحديث عروة عن المرأة المحبوبة ، فقد شغلت فكره ، وحيرته ، وقد ذكره البرق بها ، فحزن لفراقها وبعدها عنه ، وقد كانت هذه المحبوبة زوجه في يوم من الأيام ، ينعم بقربها ، ويأنس لوجودها معه ، وهو

(٤٢) الديوان ص ٤٠ .
(٤٣) الديوان ص ٥٠ ، والتريعة : المسرعة إلى الشر .

يصور ذلك كله في أبيات تنبض بالحب ، وتصور عمق الحزن الذي يعيش فيه عروة :

أرقتُ وصُحبتي، بمضيق عمق ∴ لبرقٍ ، في تِهامَةَ، مُستَطيرِ
إذا قلتُ استَهَلّ على قديدٍ ∴ يحورُ رَبَابُهُ حَورَ الكسيرِ
تَكَشُّفَ عائِذٍ بَلقاء، تَنفِي ∴ ذكورَ الخيلِ عن وَلدٍ، شَفورِ
سقى سَلمى، وأينَ ديارُ سَلمى ∴ إذا حلّتْ مُجاورةَ السريرِ
إذا حلّتْ بأرضِ بني عليّ ∴ وأهلي بينَ زامرَةٍ وكِيرِ
ذكرْتُ منازلاً من أُمّ وهْبٍ ∴ محلَّ الحيّ أسفل ذي النّقير (٤٤)

كما نجد عروة يفخر أمام محبوبته ويدافع عن مواقفه بكل حزم وقوة ، ويباهى بكرمه ، وأنه والبخل لا يجتمعان، فضلا عن رجاحة عقله ، وقوة رأيه يصور هذا الموقف الإيجابي القوي قائلا :

وقد علِمتْ سُلَيمَى أنّ رأيي ∴ ورأيَ البُخلِ مختلفٌ شتيتُ
وأني لا يُريني البخلَ رأيٌ ∴ سواءٌ إن عطِشتُ ، وإن رويت
وأني ، حينَ تشتجرُ العَوالي ∴ حوالي اللُّبّ ، ذو رأيٍ ، زمِيتُ
وأُكفى، ما علمتُ، بفضلِ علمٍ ∴ وأسأل ذا البيانِ، إذا عمِيت (٤٥)

(٤٤) الديوان ص ٣١ ، وعمق : موضع بالمدينة ، قديد : موضع بمكة ، الرباب : السحاب ، الكسير : الذى يبطئ فى مشيه ، العائذ : الحديثة النتاج ، السرير : موضع ببنى كنانة ، زامرة وكير : موضعان ، ذو النفير : اسم عين ماء .
(٤٥) الديوان ص ٢١ ، شتيت : مختلف ، الحوالى : الماكر المحتال ، زميت : جليل . .

الفصل الثاني
الموقف من الآخر الحيوان

عاش عروة بن الورد في العصر الجاهلي ، وقد تميزت البيئة الجاهلية بأنها صحراوية في الأساس ، قد اعتمد أهل هذا العصر على عدد من الحيوانات ، كانت هي عماد حياتهم ، وهي التي يستندون عليها في حلهم وترحالهم ، في غزوهم وسلمهم ، وقد درج ذكر بعض هذه الحيوانات في شعر عروة ، وهو أمر طبعي لا غرابة فيه ، فإن شعرهم كان مرآة صادقة لحياتهم ، يصورها ، وينقل ما فيها من مشاهد وأحداث ، وأشياء ، وحيوانات استعانوا بها في شئون حياتهم من انتقال وغزو وطعام وغير ذلك .

يضاف إلى هذا ، أمر آخر هو الطبيعة الحياتية للصعاليك قد قامت على الغزو والإغارة ، وكثرة الترحال والتنقل ، طلبا للفريسة تارة ، وخوفا من الطلب تارة أخرى ، فكان لزاما عليهم الاعتماد على هذه الحيوانات التي تساعدهم في قضاء مثل هذه الحوائج ، ومن خلال مطالعة شعر عروة نلحظ أمرا مهما ، هو أن حديث عروة عن الحيوانات جاء في سياقات محددة ، فهو لم يشغله وصف الجواد ، وجمال قوائمة ، ورشاقته ، كما لم يشغله قوة الناقة، وكثرة لبنها ، بقدر ما وظف الحديث عن هذه الحيوانات لخدمة سياق موقف معين بعيدًا عن الوصف المجرد ، يضاف إلى ذلك ميله إلى التشبيهات المنتزعة من البيئة التي كان يعيش فيها ، فنراه يذكر التشبيه بالأسد والثعلب وغير ذلك من حيوانات البيئة الصحراوية ، كما وظف ذكر الحيوانات في غير ذلك من المواقف .

ويمكن أن نقول إنه قد تحدث عن نوعين من هذه الحيوانات : الحيوانات الألفية كالخيل والإبل ، والحيوانات مفترسة كالأسد والثعلب والضبع .

المبحث الأول
الحيوانات الأليفة

تحدث (عروة) عن الحيوانات الأليفة فى مواضع كثيرة كم ديوانه ، فقد تحدث عن الإبل فى معرض حديثه عن كرمه ، ونحره الجزور لضيوفه الذين بلغ منهم الجهد مبلغًا عظيمًا ، يقول :

ينـــوؤون بالأيـــدي وأفضـــل زادهـــم ∴ بقيّـــةُ لحْـــمٍ مـــن جَـــزُورٍ مملَّـــح (٤٦)

ويمكن أن نلحظ من خلال ما أورده عروة من ذكره للجـزور، أنـه قـد وظف ذكره لهذا الحيوان – هنا – لأمرين :

أولهما : الفخر بنفسه ، وإظهار كرمه حيث يقوم بتوزيع هذا اللحم المقدد على هؤلاء الفقراء المحتاجين.

الثاني : تصوير مدى فقر وضعف هؤلاء القوم الذين نال منهم الضـعف ، والجهد ، حتى جعلهم غير قادرين على الاعتماد على أيديهم مـن شـدة التعـب والهزل .

كما تحدث في موطن آخر ذاكرا الإبل – أيضا – ولكن المقـام مختلـف ، فهو في هذا المقام يهجو (سلمة بن الحرشب الأنماري) ، وقد دار حديثـه فـي مضمونه العام حول ما تميز به هذا الرجل من الثراء وكثرة النياق الغزيرة اللبن ، ورغم هذا الغنى فقد طلب منه عروة المعروف ليلا ونهارا فلم يحصل عليه منه ، وقد بالغ هذا الرجل وأهله في منعه الخير والمعروف ، فمنعوه النـوق الغزيـرة اللبن ، كما منعوه الأفال (وهو صغير الإبل) ، والفصيل وهو (ولد الناقة) يقول مصورا كل ذلك :

أخـــذتْ معاقلـــها اللقـــاح لمجلـــسٍ ∴ حـــول ابـــن أكـــثم مـــن بـــني أنمـــارِ

ولقـــد أتيـــتكم بليـــل دامـــسٍ ∴ ولقـــد أتيـــت ســـراتكم بنهـــارِ

فوجـــدتُكم لِقَحـــاً حُبسَـــن بخُلّـــةٍ ∴ وحبســـن إذ صـــرين غـــير غـــزارِ

---

(٤٦) الديوان ص ٢٣ .

منعـــوا البِكـــارةَ والافـــالَ كليهِمـــا ∴ ولهـــم أضـــن بـــأم كـــل حـــوار (٤٧)

إن حديث عروة – هنا – وإن اشتمل على ذكر الإبل واللقـــاح والبكـــارة والإفال ، إلا أنه اختلف عن سياق الحديث السابق ، فهو هنا يشير إلى أن معيـــار الغنى والثراء في هذه البيئة الجاهلية البدوية أساسه هو كثرة ما يملكه الرجل من هذه الحيوانات ، فمتى كثرت هذه الحيوانات عنده ناله الثراء ، وبها يكون الجود والإكرام ، فهو يشير بذكره لها – هنا – إلى مدى الغنى الذي تميز بـــه ســـلمة ، فضلا عن بخله وقلة كرمه ، ومنعه فضل ماله .

وقد ذكر البعير مشبها به الصعلوك الذي يساعد نســـاء الحـــي ، اللاتـــي يطلبن مساعدته حتى إذا جن عليه الليل ، وأقبل المساء كان كالبعير الذي أصابه التعب ، وأرهقه العمل من كثرة ما يقوم به من مجهود ، يقول مصورا ذلك :

يُعَـــينُ نســـاءَ الحَـــيِّ مـــا يَسْـــتَعِنَّهُ ∴ ويُمســـي طَليحًـــاً كـــالبعير المُحْســـرا (٤٨)

وفي هذا التشبيه دلالة رائعة على أمرين في غاية الأهمية هما :

– بيان ما يتصف به الصعلوك من تفانٍ في خدمـــة الآخـــرين ، وحبـــه مساعدة نساء الحي، وهو أمر يحمده العرب فـــي الرجـــل ، ويصـــفون صـــاحبه بالشهامة .

– الثاني : أنه وصفه بالبعير دون غيره من الحيوانات الموجـــودة فـــي البيئة الجاهلية ، ولهذا مغزى مهم ، وهو أن البعير من الحيوانات التي اشتهرت بالقوة والجلد وقدرتها على تحمل ما لا يتحمله غيرها من الحيوانات ، فإذا ما كان الأمر كذلك ، ثم أدركه التعب وجعله على هذه الصورة ، فهذه دلالة واضحة على كم الجهد الذي بذلة في خدمة نساء الحي .

ثم نرى عروة بن الورد يرسم لنا صورة أخرى مـــن صـــوره الشـــعرية مستعينا فيها بذكر أحد حيوانات البيئة الجاهلية التي عاش فيها وهو الحصـــان ، وهو في هذه الصورة الشعرية يصور حاله مع النساء ، وقد كبر سنه ، وشـــاب

(٤٧) الديوان ص ٤٢ ، اللقاح : النوق الغزيرة اللبن ، صرّين : لم يُحلبن ، الحوار : ولد الناقة .
(٤٨) الديوان ص ٣٧ ، المحسر : الضعيف .

شعره ، رغم ذلك فقد كان هؤلاء النسوة ينشغلن به عن أزواجهن حبًّا فيه ، وميلاً إليه ، ثم يصور حال هذه بحال الحصان الذي مال عنه جلاله ، (وهو ما يوضع على ظهر الحصان) ، هذا الحصان الأغر الكريم الأصل حوله العُوذ (وهي صغار الظباء) ترتع وتأكل العشب الأخضر ، يصور ذلك في أبياته التي يقول فيها:

ويدعُونَني كهلاً ، وقد عشتُ حِقبةً ∴ وهنّ ، عن الأزواجِ نحوي ، نوازعُ

كأني حصانٌ مالَ عنه جِلالُهُ ∴ أغرُّ ، كريمٌ ، حَوْله العُوذُ ، راتعُ [٤٩]

إن هذه الصورة الرائعة المنتزعة من البيئة تجعل المتلقي يشاهد المنظر كأنه أمامه هذا الجواد الكريم الأغر ، الأصيل ، وقد التف حوله صغار الظباء يأكلون ويرتعون في أمن وسلام ، وكأن عروة هو ذلك الجواد ، والنساء هي تلك العُوذ الراتعة ، إنه تصور رائع منتزع من بيئة عروة الجاهلية .

وفي بيان فضل جواده عليه نراه يذكره في معرض حديثه عن بعض المواقف الصعبة التي مرت عليه ، لاسيما فى تلك الليلة العصيبة الداهية التي وقع فيها ، فلم ينجه غير فرسه قرمل [٥٠] ، يقول واصفا ذلك الموقف :

كَلَيْلةِ شَيباءَ التي لستَ ناسياً ∴ وليلتِنا ، إذ منّ ، ما منّ ، قِرمِل [٥١]

في هذه الكلمات القليلة يبن لنا عروة مدى فضل جوداه (قرمل) عليه ، فقد منّ عليه هذا الجواد منة عظيمة حيث أنجاه من هذه الليلة الداهية العظيمة الخطر .

ومن الحيوانات التي استعان بها عروة في تشبيهاته ، واستطاع أن يوظفها في توصيل فكرته إلى المتلقي – الرأل – وهو فرخ النعام ، فهو يقول : إن مصيرى إذا سلمت من القتل أن أهون وأضعف حتى أمشى على عصا من شدة الضعف والوهن ، وأصبح رهين البيت حبيس فيه أمشى يدرك الخطو الخطو كما يفعل فرخ النعام – الرأل – ، يقول مصورا حاله تلك :

---

(٤٩) الديوان ص ٤٨ .
(٥٠) شرح ديوان عروة ص ١٢٠ .
(٥١) الديوان ص ٩٣ .

أليس ورائي أنْ أدُبَّ على العصا ∴ فيَشمتَ أعدائي ، ويسأمني أهلي
رهينةُ قَعْرِ البيتِ ، كلَّ عشيّةٍ ∴ يُطيف بي الولدانُ أهدجُ كالرألِ (٥٢)

فقد استعان بالتشبيه بفرخ النعام، أو الرأل لتصوير حاله التي سيصير عليها من الضعف والوهن، وتكون سببًا في شماتة الأعداء به ، وأرى أن التشبيه بفرخ النعام قليل في البيئة الجاهلية مقارنة بالتشبيه بغيره من الحيوانات الأخرى كالإبل والفرس والأسد .

ثم نراه مرة أخرى يستعين بالتشبيه بحيوان آخر أليف ، من حيوانات البيئة الجاهلية، وهو الوعل(٥٣)، فهو يتكلم مفتخرا بنفسه، ومستعرضا شجاعته، فهو قادر على النيل ممن يريد النيل منه فى الوقت الذى يريده، فقد نال من أبناء عوف قديمًا ، وهو يستطيع النيل من قبيلة أوس فى ذلك الموضع الوعر الذى يكثر فيه الأوعال :

تبَغَّ عِداءً حيثُ حلّتْ ديارُهَا ∴ وأبناءِ عَوْفٍ في القرونِ الأوائلِ
فإلاّ أنَلْ أوساً ، فإنّيَ حِسبُها ∴ بمنبطحِ الأوعَالِ من ذي الشَّلائلِ(٥٤)

فقد استعان في رسم الصورة التي يريدها بمشهد من البيئة التي يعيش فيها حيث الشاة الجبلية ومواضع تواجدها .

(٥٢) الديوان ص ٨٩، وينظر : شرح الديوان ص ١٠٦ .
(٥٣) الوَعِل : هو الشاة الجبلية ، والأنثى وَعِلة ، والجمع : أوعال . (انظر : تهذيب اللغة للأزهرى ٣ / ١٢٧ .
(٥٤) الديوان ص ٦٢ ، تَبَغَّ : اطلب ، ذو الشلائل : اسم موضع .

المبحث الثاني
الحيوانات المفترسة

وكما تحدث (عروة) عن الحيوانات الأليفة تحدث – كذلك – عن الحيوانات المفترسة ، ومنها (الأسد والثعلب) وقد ورد ذكر هذا الحيوان في شعره في سياق التشبيه الذي يؤدي غرضًا فنيًّا يخدم مقصود عروة ، ومن المعروف أن التشبيه بالأسد عند العرب اشتهر في معرض بيان مدى شجاعة المشبه .

لكن في سياق حديث (عروة) عن قبيلة نهد (وهم أخواله) نجده يعدد ما بهم من صفات سيئة لا تليق بعربي ، وهذه الصفات منهم أنهم إذا استعرت الحرب كانوا ثعالب ، والثعلب حيوان ماكر جبان لا يقدر على المواجهة ، وهو تشبيه ينتقص من قدر المشبه ، فإذا ما ذهبت الحرب كانوا أسودا ، شجعان ، ورغم أن الوصف بالأسد يجيء للوصف بالشجاعة والفخر بها ، إلا أن غرضه – هنا – جاء للذم لا للمدح فمقام الشجاعة هو خوض غمار الحرب ، لا الشجاعة بعد انتهائها ، فالشجاعة في موضع الجبن عيب ، كما أن الجبن فى موضع الشجاعة عيب كذلك ، وها هو ذا يصور ذلك قائلا :

ثعالبُ في الحربِ العوانِ فإنْ تنخْ ∴ وتَنفرجِ الجُلّى ، فإنّهمُ الأُسْدُ (٥٥)

وفي مقام آخر نجد عروة يورد ذكر الأسد ، إلا أن المقام اختلف ، فهو يحكي عن هؤلاء الأعداء الذين يحاولون الإيقاع به ، والقضاء عليه ، فهم قد تمنوا له موضعا مخوفا يصيبه فيه قوم لهم عليه دم أو أسد عريض الساعدين قوي يأكله ، هذا الأسد يعيش في الغياض ، وزئيره يشبه هزيم الرعد ، أو صوت العقاب وكل هذا تفخيم وتهويل من شأن هذا الأسد المرعب ، يقول مصورا ذلك:

---

(٥٥) الديوان ص ٥٦ .

تبغّـــانيَ الأعْـــداءُ إمّـــا إلى دَمٍ ∴ وإمـــا عـــراض الســـاعدين مُصَـــدّرَا
يظـــلّ الأبـــاءُ ســـاقطاً فـــوقَ مَتنِـــهِ ∴ لـــه العَـــدْوَةُ الأولى ، إذا القِـــرْنُ أصـــحرا
كـــأنّ خَـــواتَ الرعـــدِ رزءُ زئـــيره ∴ مـــن الـــلاء يســـكن العـــرين بعثـــرا (٥٦)

وهو – هنا – يصور مدى حقد أعدائه عليه، وكيدهم له، وما يحاولون فعله في سبيل التخلص منه والقضاء عليه ، وقد استطاع أن يصور ذلك كله من خلال استحضار صورة الأسد وصوت زئيره وما يوقعه في قلوب الشجعان من الرعب ، وهكذا استطاع توظيف صورة الحيوان – الأسد – في توصيل الغرض والمعنى الذي يدور في خاطره بشكل متميز وقوي .

ومن الحيوانات المفترسة التى ذكرها عروة (الضباع) وذلك فى معرض حديثه عن شجاعته ، فهو يقدم ويكر فى حين يحجم غيره ويفر ، ثم يعقب على ذلك بأن من لا يقدم جواده في الحرب ، ولم يتصف بالشجاعة في هذا الوقت فهو ضائع لا محالة ، كما أنه يؤكد أنه من فرط قوته يترك الفارس الشجاع في المكان المنخفض حيث تهاجمه الضباع التي في رجلها عرج ، وهذه إشارة إلى ما فيه من إصابة بالغة جعلته لا يستطيع الهروب حتى من الضباع المصابة ، يقول في ذلك :

أتجعـــلُ إقْـــدَامي إذا الخيـــلُ أحَجْمَـــتْ ∴ وكـــرّي ، إذا لم يمنـــع الـــدَّبرَ مـــانعُ
ســـواءُ ومـــنْ لا يقـــدمُ المُهْـــر في الـــوَغِى ∴ ومَـــن دُبُـــرُهُ ، عنـــد الهَزَاهِـــزِ ، ضَـــائِعُ
إذا قيل : يا ابـن الـورد ، أقـدم إلى الـوغى ∴ أجبـــت فلاقـــانى كمـــيٌّ مقـــارع
بكفـــى مـــن المـــأثور كـــالملح لونـــه ∴ حـــديثٌ بـــإخلاص الـــذكورةِ قـــاطع
فأترُكُـــه بالقـــاعِ ، رَهنـــاً ببلـــدةٍ ∴ تعـــاورهُ فيهـــا الضـــباعُ الخوامـــعُ (٥٧)

(٥٦) الديوان ص ٦٥ .
(٥٧) الديوان ص٤٧، والهزائز: الشدائد، المأثور: السيف القديم المتوارث، الخوامع: العرجاء.

فهو هنا يتحدث عن موقف الحرب ، والكر والفر ، وقد عبر بإحجام الخيل عن تراجع الرجال ، وخوف الأبطال من الحرب ، في حين أقدم هو ولم يبالِ ويلات الحرب دليلا على شجاعته وقوته .

ونلحظ أيضا في هذه الأبيات أنها اشتملت على ذكر نوعين من الحيوانات : الأليفة متمثلة في الخيل والحيوانات المفترسة متمثلة في الضبع ، وقد استطاع توظيف كل منهما بشكل جيد .

وهكذا كان موقف عروة بن الوردة من الآخر الحيوان ، والذي نلحظه في هذا العرض أن موقف عروة من الحيوانات كان موقفا له سمت خاص ، فقد تناولا الحيوانات تناول اعتمد على شكل واحد من العرض اختلف عن غيره من الشعراء، فهو لم يعمد إلى وصف حيوان بعينه يفرد له الأبيات يعدد صفاته ومميزاته ، إلا أنه جاء بالحيوانات التي شاع وجودها في البيئة الجاهلية مستخدما لها في تقريب الصورة ، والتشبيه بها ليبرز المعاني التي يريد أن يوصلها للمتلقي ، ولا أكون مبالغا إذا قلت : إن عروة قد أجاد أيما إجادة في هذا التوظيف ، وكان موفقا فيه إلى حد كبير .

الفصل الثالث
الموقف من الآخر الجماد

تقدم الحديث – فيما سبق – عن موقف عروة بن الورد من الآخر الإنسان على اختلاف أنواعه ، وكذلك موقفه من الآخر الحيوان بقسميه ، وكيف استطاع أن يوظف حديثه عن الإنسان الحيوان في سياقات متعددة تخدم غرضه الأساس ، وفي هذا الجزء من الدراسة أتحدث عن موقفه من الآخر الجماد ، وكيف استطاع – كذلك – أن يوظف الحديث عن الجماد في أغراضه الشعرية ، ومما تجدر الإشارة إليه أن المقصود بالجماد – هنا – هو ما لا روح فيه ، وهذا يشمل حديثه عن أسلحة الحرب، وأدوات الضيافة، والأحجار والحصى، والأمكنة والمواضع.

المبحث الأول
الأسلحة الحربية

تعد الأسلحة الحربية من أساسيات حياته كصعلوك يعيش على النهب والإغارة من ناحية ، وكعربي جاهلي يعيش في بيئة صحراوية تحتاج لأدوات للدفاع عن النفس ، وقد ذكرها عروة في معرض الفخر بقوته وبسالته حيث يقول : إن الخوف والفزع سيصيب من أمن جانبنا ، وظن أننا لن نغزوه ، ثم يقول : إننا نطعن صدر القوم بالقنا (وهي الرماح)[٥٨]، والبيض الخفاف (وهي السيوف) [٥٩] هذه السيوف المشهرة التي لها لون يميزها ، يقول مصورا ذلك:

سَتَفْزَعُ بعد اليأسِ مِنْ لا يخافنا ∴ كِواسعٍ في أُخرى السَّوامِ المُنَفَّرِ

يُطاعنُ عنها أولَ القومِ بالقَنَّا ∴ وبيضٍ خِفافٍ ذاتِ لونٍ مُشْهر [٦٠]

إن حديث عروة عن الرماح والسيوف – هنا – جاء في سياق التهديد والوعيد لهؤلاء القوم الذين أمنوا جانبه ، وقد تكون فى ذلك إشارة إلى استضعافهم لعروة ، ولكنه رد عليه بنوع من استعراض القوة والقدرة على البطش من خلال ذكره لهذه الأسلحة الفتاكة التي يستخدمها .

وفي السياق السابق نفسه ، ولكن مع قوم آخرين – هم بنو عامر – نجد عروة يفخر بقوته معهم وبطشه بهم ، فهو قد نزل بهم صباحا ، وأوسعهم طعنا بعد طعن ، وضربهم ضربا شديدا ، وقد استخدم عروة في هذا الضرب سيفا رقيق الشفرتين حادهما ، كما استخدم في هذا الضرب رماحا سمرا مسنونة تأتي من الهند يقول واصفا ذلك :

ونحنُ صَبَحنا عَامِراً ، إذْ تمرّسَتْ ∴ عُلالةَ أرمَاحٍ وضَرباً مذكَّرا

بكلِ رِقاقِ الشِّفْرَتينِ مُهَنَدٍ ∴ ولَدْنٍ من الخطّيّ ، قَد طُرّ ، أَسْمرَا [٦١]

---

(٥٨) انظر : المصباح المنير للفيومى ٢/ ٥١٧ – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
(٥٩) راجع : مختار الصحاح ص ٤٢ .
(٦٠) الديوان ص ٣٨ .

وكل هذه الأوصاف التي يخلعها عروة على أسلحته هي في الحقيقة تفيد أمرين على جانب عظيم من الأهمية ، وهما أنها سبب لفخره بنفسه وقوته ، والثاني : أنها تلقي الرعب والخوف في قلوب أعدائه ومن يطلبونه ، فإنهم إذا علموا ما لديه من أسلحة جعلهم يراجعون أنفسهم فيما يريدون .

وها هو في مقام آخر ، يظهر عزته بنفسه ، وفخره بما يملك من فصاحة وقوة ، فهو يملك ناصيتي الشجاعة لسان فصيح ، وسيف صارم قاطع ، وغضب عند انتهاك محارمه ، وزد على ذلك كله ، فهو ذو رأي راجع ، وعقل متزن إذا قال الرأي صرع به آراء الرجال ، يقول في ذلك :

لِسَانٌ وَسَيْفٌ صَارِمٌ وحَفِيظَةٌ ∴ ورَأيٌ لآراءِ الرّجالِ صَرُوع [٦٢]

لقد جمع عروة في فخره هذا بين الإمكانيات المادية والمعنوية في الفخر، فالمادية تمثلت في سيفه القاطع الذي يهزم به أعداءه المقاتلين ، والمعنوية تمثلت في لسانه الفصيح ، ورأيه الراجح الذي يصرع به آراء الرجال النجباء ، فلا يستطيعون غير الإذعان لرأيه .

وها هو ذا عروة بن الورد يصور لنا مشهدا جديدًا من مشاهد قوته وشجاعته : إذا دعا الداعي وجعل ينادي : يا ابن الورد أقبل على الحرب ، ما كان جواب هذا الفارس الشجاع إلا أن يلاقي الكمي (وهو الفارس الشجاع يقارع الفرسان الأقوياء) وبيده هذا السيف القاطع الحاد الشفرات الذي يأتي على الأعداء ، ويفتك بهم [٦٣] ، يقول في تصوير ذلك :

إذا قِيلَ يا ابنَ الوَرْدِ أَقْدِمْ إلى الوَغَى ∴ أجبتُ فَلاقَانِي كَمِيٌّ مُقَارِعٌ

بِكَفّي من المَأثُور كالمِلحِ لَوْنُه ∴ حَديثٌ بإخْلاصِ الذكورةِ قاطع [٦٤]

---

(٦١) الديوان ص ٤١ ، تمرست : تعرضت ، علالة : يريد طعنًا بعد طعن ، لدن : ليّن ، طُرَّ : سُنَّ .
(٦٢) الديوان ص ٤٦ .
(٦٣) ينظر : شرح ديوان عروة ص ١٧٨ .
(٦٤) السابق ص ٨١

نلحظ في هذه الأبيات أن ابن الورد أكثر من صفات هذا السيف الذي يقاتل به، فهو مأثور يتوارثه الناس، وهو يشبه الملح في اللون، كما أنه خالص لا يشوب معدنه شائبة (إشارة إلى جودة صنعه) وهذا سبب في قوة هذا السيف ومضائه وقوة قطعه، وفي هذا كله تأكيد لقوة وشجاعة عروة ، وتهديد لأعدائه من هذه القوة والشجاعة .

وفي موطن آخر من ديوانه نراه يستخدم تعبيرا كثر وروده في كلام العرب قديما ، وهو (طويل نجاد السيف) ، وهذا التعبير معناه : طويل حمالة السيف ، ولا يقصد به ظاهر معناه ، بل يُقصد به ضخامة الجسم ، والطول ، والقوة والشجاعة، فهو يصف نفسه بأنه يطلب جنايته ولا يتركها، وهي من صفات أبناء الحرائر، فضلا عن كونه طويل الجسم، قوي البنية، يقارع الأقوياء، ويهزمهم يقول في ذلك :

وما طَالبُ الأوتارِ إلا ابنُ حُرّةٍ ∴ طويلُ نجادِ السيّفِ ، عاري الأشاجعِ (٦٥)

فهو يفخر بنفسه ، وبشجاعته ، وقوته ، وهو في سبيل ذلك يستعين بأحد الصفات المشهورة لدى العرب، وهي صفة طول حمالة السيف التي يكنى بها عن الطول والبسطة فى الجسم .

(٦٥) الديوان ص ٤٧ .

المبحث الثانى
أدوات الضيافة

وفي مقام آخر نراه يهتم بذكر الضيف أدوات الضيافة ومنها الفراش والموضع الذي ينام فيه الضيف، وقد أوضح لنا عروة في هذا السياق مدى كرمه، وحرصه على خدمة الضيف ، والحنو عليه لدرجة بلغت أنه جعل فراشه فراش هذا الضيف ، وبيته بيته ، ولم يشغله عن هذا الضيف غزال مقنع (يقصد به المرأة الجميلة) ، كما أنه لم يكتف بذلك فحسب ، بل إنه يحاول أن يسرّي عنه ويسليه بالحديث والكلام ، فهنا وجه من وجوه الكرم والعناية بالضيف كما هو الحال في تقديم القِرى، وذلك حتى يتمكن من النوم والسكون، يقول واصفا ذلك:

فِراشي فِراشُ الضيفِ والبيتُ بيتُه ∴ ولم يُلهِني عنهُ غَزالٌ مُقَنَّعُ

أُحدّثُه ، إنّ الحديثَ مِن القِرى ∴ وتعلمُ نفسي أنه سوف يهجعُ (٦٦)

إن ذكر عروة للفراش – هنا – لم يكن الغرض منه مجرد ذكره ، ولكنه كان تأكيد على فكرة ألحت على عروة في كثيرٍ من مقاماته الشعرية ، وهو ما تميز به من جود وكرم وعطف على الضعيف ، وقد وصل به إلى درجة أنه يشاركه فراشه الذي ينام فيه ، وبيته الذي يقيم به .

ومن الجمادات التي مازال عروة يستخدمها في ترسيخ فكرة كرمه وجوده، الإناء الذي يأكل فيه ، فهو إناء يشاركه فيه الفقراء ، ولا يستأثر به لنفسه كغيره من البخلاء ، هذا الإناء الذي يملأه عروة باللبن وينتظر من يشاركه فيه من الفقراء :

إني امرؤ عَافِ إنائي شركةٌ ∴ وأنتَ امرؤ عافٍ إنائِكَ واحدُ (٦٧)

ومن أدوات الضيافة التي اهتم عروة بذكرها، الكنيف، وهو الحظيرة المصنوعة من الشجر تحظر الناس كما تحظر الإبل ، وكذلك القِدر الذي يُطهى فيه الطعام ، حيث استعرض لنا عروة أحد أهم ملامح شخصيته وهي كرمه مع قبيلته

(٦٦) الديوان ص ٤٩ .
(٦٧) الديوان ص ٢٩ .

إذا اصابتهم الشدة ، ونال منهم الجوع والفقر ، فهو يجهز لهم القدور التي تشبه الإبل المقطوعة الأخلاف حتى تسمن وتشتد ، وفي هذا إشارة إلى امتلاء هذه القدور بالطعام ، وكثرته ، يقول واصفًا ذلك :

ألا إنّ أصحابَ الكنيفِ وجدتُهم ∴ كما الناس لما أخْصَبُوا وتمولوا
وإنّي لَمَدفوعٌ إليّ ولاؤهم ∴ بماوان إذ نَمْشِي وإذ نتململُ
وإذ ما يريح الحي صرماء جونة ∴ ينوسُ عليها رحلُها ما يحلّلُ
موقَّعةُ الصَّفقينِ ، حدباء ، شارفٌ ∴ تقيد أحياناً لديهم وترحلُ (٦٨)

إن عروة الفارس النبيل لم يجد بدا من العطف والحنو على قبيلته وقت الشدة عندما ألم بهم الفقر ، وأهزلهم الجوع ، فما كان منه إلا أن عطف عليهم فأطعمهم ، وقد استطاع أن ينتزع التشبيهات المناسبة للبيئة التي يعيش فيها ، وتألفها عينيه ، وقد أجاد في ذلك أيما إجادة ، بل إنه يتمادى في ذلك ، ويرتقي بهذه القدور حتى إنه ليخاطبها خطاب العاقل ، ويكني عنها بكناية محببة ، فيقول لها : يا أم بيضاء رغم سوادها ، وهي تسمية تفيد السعادة والتفاؤل بهذه القدور التي سيطعم منها الجياع والأرامل يقول في ذلك :

عليها من الولدانِ ما قد رأيتُمُ ∴ وتمشي ، بجَنبيها ، أرامل عُيَّلُ
وقلتُ لها يا أمَّ بيضاء فتية ∴ طعامُهُمُ ، من القُدورِ ، المعجَّلُ (٦٩)

(٦٨) الديوان ص ٥٦ ، ٥٧ ، وماوان : اسم موضع ، ينوس : يتحرك ، الصفقان : الجانبان ، شارف : كبير الحجم .
(٦٩) السابق ص٩٢ .

المبحث الثالث
الأحجار والحصى

كما نرى عروة في مقام آخر يوظف جمادا آخر اختلف عن الجمادات السابقة التي تكرر ذكرها عنده نظرا لطبيعة حياته الجاهلية ذلك هو الأحجار ففي ، حديثه مع زوجته وعتابها له ، نراه يطلب إليها أن تتركه ونفسه ، فهو أعلم بحال نفسه منها ، وهو يريد أن يشتري لنفسه مجدا بهذا المال في حياته ، فإذا ما مات بقي ذكره مخلدا بعد موته ، حيث سيذكره الناس رغم فنائه ، حتى إذا ما مات وخرجت منه هامة وعلته الأحجار ، هذه الهامة تجاوب أحجار الكناس (وهو الموضع الذى يدفن فيه) يقصد بذلك أن هذه الهامة التي تخرج منه بعد موته إذا نادت أجابتها هذه الأحجار بالصدى وقدمت شكواها إلى كل من تعرفه ومن لا تعرفه [٧٠] ، يقول مصورا ذلك :

ذَرِيني ونَفسي أُمَّ حَسَّانَ ، إنني ∴ بها قبل أن لا أملك البيع مشتري
أحاديثُ تَبْقَى والفَتى غيرُ خالدٍ ∴ إذا هو أمسى هامة فوق صيرِ
تُجَاوِبُ أحْجَارَ الكِنَاسِ وتَشْتَكِي ∴ إلى كلِّ معروفٍ تراهُ ومُنْكَرِ [٧١]

ويمكن أن نلحظ في هذا السياق أنه وظف الأحجار في إطار بيان فخره بنفسه ، واعتزازه بها ، ومحاولته الجادة لبناء هذه الشخصية العظيمة التي يريد أن يتذكرها التاريخ .

ونراه في القصيدة نفسها يذكر الحصى وذلك في معرض وصفه لحياة الصعلوك الذي يعيش حياة الكفاف ، ويعاني من نقص القرى ما لم ينله من صديق ميسر ، وهو ينام في وقت مبكر ، ويرقد في موضع خشن يمتلئ بالحصى الذي يبعده عن جنبه وقد أصابه التراب ، يقول في ذلك :

يعُدُّ الغِنى من نَفسِهِ كلَّ ليلة ∴ أصابَ قِرَاها من صديقٍ مُيَسِّرِ

(٧٠) ينظر : شرح الديوان ص ٦٥ ، ٦٦ .
(٧١) الديوان ص ٣٥ .

ينـــامُ عِشَـــاءً ثـــم يُصْـــبحُ قاعـــداً ∴ يَحُـــتُّ الحَصَـــى عـــن جنْبِـــه المُتَعَفِّـــر [٧٢]

وهو – هنا – عبر بالحصى ، وهو يريد أن يصور الحالة التي يعيشـــها هذا الصعلوك من ضيق العيش ، وقلة الطعام ، وخشونة المقـــام ، وقـــد وظـــف الحصى توظيفا يناسب السياق الذي يتكلم فيه بحيث عبر تعبيرا صادقا عن هـــذه الحالة التي عليها الصعلوك الفقير الذى أثَّر الحصى فى جنبه ، فراح يدفعه عنه .

(٧٢) السابق ص ٣٧ ، يَحُتُّ الحصى : المراد لا يبرح الحىّ .

المبحث الرابع
الأمكنة والمواضع

الإنسان يرتبط بالكثير من الأماكن على مدار حياته ، تربطه ببعضها ذكريات جميلة ، تشيع في نفسه الفرح ، بينما تربطه ببعض الأماكن الأخرى ذكريات أليمة ، تشيع في نفسه قدرا من الحزن عندما تجول بخاطره تلك الذكريات التي دارت في هذه الأماكن ، وقد ورد ذكر العديد من الأماكن في شعر عروة بن الورد ، وسوف أحاول الكشف عن ماهية هذه الأماكن التي ذكرها ، وما لها من ذكريات في نفسه .

نجده يحدث مخاطبه بشيء من الفخر والأنفه ، وأنه يقيم في بلدان تتميز بأنها كثيرة الخير ، وعظيمة الجنى ، يكثر فيها الصيد ، يقول :

وما كانَ منّا مَسكناً ، قد علمتمُ ∴ مدافعُ ذي رَضْوَى ، فعَظمٌ ، فصَندودُ

ولكنّها ، والدّهرُ يومٌ وليلةٌ ∴ بلادٌ بها الأجناءُ ، والمتصَيَّد[٧٣]

فها هو يذكر مدافع ذي رضوى ، وعظم ، وصندد وكلها بلدان فيما بين مكة والمدينة [٧٤] إنه ما زال يؤكد على الفكرة نفسها ، وهي شجاعته ، فلولا هذه الشجاعة ما استطاع أن يقيم في هذه الأماكن الرغيدة الكثيرة الخير .

وما أروع الحديث عن ديار المحبوبة ، إنه حديث ذو الشجون قل أن يخلو منه شعر شاعر ، فما من شاعر إلا وتحدث عن ديار محبوته ، هذه الديار التي تهيج في نفسه أسباب الهوى ، وتعيد إلى ذاكرته أيام الوصل ، وها هو ذا عروة يصف لنا ما دار بينه وبين قوم محبوبته التي اختارها لنفسه ، وأعتقها بعد أن كانت سبية له، وما ذلك إلا حبا فيها ، فإذا بها عند لقائها أهلها تغدر به ، وتؤلب أهلها عليه حتى استطاعت الهروب منه ، واللحوق بأهلها ، يقول في ذلك:

أَرِقْتُ وصُحْبَتي بمضيقِ عَمْقٍ ∴ لِبَرق من تِهامةَ مُسْتَطِيرِ

---

(٧٣) الديوان ص ٣١ ، ٣٢ .
(٧٤) شرح الديوان ص ١٨٨ .

إذا قلتُ استَهَلّ على قُدَيْدٍ ∴ يَحُورُ رَبَابُه حَوْرَ الكسيرِ
تَكَشُّفَ عائذٍ بَلْقاءَ تَنْفِي ∴ ذُكَورَ الخيلِ عن ولدٍ شَغُورِ
سَقَى سلمى وأين محلّ سَلْمى ∴ إذا حلّتْ مُجاورةَ السريرِ
إذا حلّتْ بأرضِ بني عَلِيّ ∴ وأهلي بين زَامِرةٍ وكِيرِ
ذكرتُ منازلاً من أم وهب ∴ مَحَلّ الحَيّ أَسْفلَ ذي النَّقِيرِ
وأحدثُ معهدا من أم وهب ∴ معرسنا بدار بني النضير
أطَعتُ الآمِرينَ بصَرْمِ سَلمى ∴ فطاروا في عضاة اليستعور [٧٥]

إن هذه المقطوعة الشعرية تضمنت العديد من الأماكن ، ورغم كثرة الأماكن فيها على قلة أسبابها إلا أن ذلك لم يكن ليعيبها ، فقد استطاع عروة أن يتجول بنا في هذه الربوع والأماكن المختلفة حتى يجعلنا نعيش معه الحالة النفسية التي عايشها هو بنفسه ، وحتى كأننا معه حين تأرق لبعد محبوبته عنه يصل إلى برق في تهامة ، كما يصور لنا الشاعر حبه لموضع أحبته ، وهو يدعو لهذا الموضع بالسقيا ، وأن يستهله السحاب ويصب عليه مائه ، وأن يرجع إليه المرة بعد المرة ، إن هذه المعاني توضح لنا مدى حب الشاعر لمحبوبته ، ذلك الحب الذي انعكس على حبه لموضع إقامتها فدعا له بالسقيا ، ويؤكد على هذا المعنى مرة أخرى فيقول : سقى سلمى ، وأين محل سلمى ، وهو يعلم أنها نزلت بموضع السرير في بلاد كنانة ، ولكنه سؤال المتحسر المحب لهذه المحبوبة التي جفته وقطعت حبل وصله .

كما نراه يحدد وبدقة هذا الموضع الذي نزلت به محبوبته (وهو بين زامرة وكير) ثم يؤكد على أنه عاده عائد الشوق، وذكره بمنازل المحبوبة التي كانت أسفل ذي النقير (وهو ماء لبني قين ولكلب)[٧٦].

(٧٥) الديوان ص ٦٢ وما بعدها .
(٧٦) ينظر : شرح الديوان ص٤١ وما بعدها .

إن المتأمل في هذه الأبيات لا يستطيع أن يشعر فيها إلا بالأسى ، والحزن الذي أصاب عروة بسبب بعد هذه المحبوبة عنه ، إن في تعداد هذه المواضع ، وتلك المواطن التي نزلتها أم وهب، والدعوة لها بالسقيا أكبر دليل على حب عروة لهذه المرأة رغم ما فعلته معه .

وما زلنا مع سلمى ، وما يعانيه عروة من بعدها ، فهو يحن لها وهي مقيمة بعيدا عنه بأرض أهلها ، وقد كان قريبًا منها لما كانت في أرض واسعة ملساء لا جبال فيها ولا شجر ، ويقول : إنها تحل بثنية بين مكة والطائف ، في وادٍ ضيق تقيم فيه ، فيضيق صدر الشاعر عن زيارتها ، فيمسك عن ذلك ، ثم يطرح سؤالاً إنكاريا : كيف يمكن له زيارتها ، وقد تناءت وبعدت ، وأقامت عند قوم ينكرهم ولا يعرفهم ، يقول مصورا ذلك :

تحنُّ إلى سلمى بحُرٍّ بلادها ∴ وأنت عليها بالملا كنت أقْدَرَا

تحِلّ بوادٍ ، من كَراءٍ ، مَضَلّةٍ ∴ تحاولُ سلمى أن أهابَ وأحصَرا

وكيف تُرَجّيها ، وقد حِيلَ دونها ∴ وقد جاورت حيّاً بتَيمن مُنكرا (٧٧)

إن هذه الأبيات تؤكد معاناة عروة النفسية التي أصابته بسبب صرم هذه المحبوبة له ، وبعدها عنه وجفائها ، وعدم قدرته اللحاق بها في موضعها الذي رحلت إليه ، إن ذكر المكان – هنا – أسهم بشكل واضح في تصوير الحالة النفسية لشاعرنا ومدى الحزن الذي يعيش فيه .

وما زلنا مع عروة بن الورد في سياق بكاء الأطلال ، وهو يحكي ويتألم عن تلك المواطن التي عفت ودرست وانمحى أثرها ، عند تلك الثنية فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة وكنانة (الغضور) ورغم أنها انمحت وذهب أثرها إلا أنها لا ما تزال منها آية وعلامة في الرحيل عنها والبعد ، وهى حُبه القائم الذي لم يتغير ، ويكرر تلك الأماكن التي كانت منازل هذه المحبوبة (الغر) و (الغراء)

(٧٧) الديوان ص ٣٣ ، كراء : أرض كثيرة الأسد ، تيمن : اسم موضع .

و(حول الصفا) إن هذه المواضع حيث كان الجاهليون ينصبون صنما في هذا الموضع يدورون حوله ، [٧٨] يقول مصورا تلك المعاني :

عفتْ بعدنا منْ أُمّ حَسَّان غُضورُ ∴ وفي الرَّحْلِ منها آيةٌ لا تُغيَّرُ

وبالغُرّ والغَرّاء منها منازلٌ ∴ وحولَ الصَّفَا من أهلها متدوّرُ [٧٩]

ويُلاحظ هنا أن عروة قد ربط بين أماكن إقامة هذه المحبوبة ، وبين هذا الصنم المقدس الذي كانوا يعبده الجاهليون ، ولعله أراد أن يضفي هذه القدسية والعظمة على تلك المواضع ، وما ذلك إلا من كثرة حبه لأم حسان ، وشوقه لها ، ولوعة فراقها التي اكتوى بها .

وفي سياق القصيدة السابقة ذاتها نراه يدافع عن نسبه من جهة أمه نظرا لمعاناته النفسية التي لاقاها من قومه بسبب معايرتهم له ، حيث كانت أمه من قوم أقل نسبا من قبيلة أبيه ، ولكنه استطاع أن يحتال لهذا الأمر ، فدافع عنه بأسلوب فيه طرافة ، حيث رأيناه يقول : إذا كان الأمر كما تقولون ، فإنني قد أصباني شرف النسب وطيب الأصل من قبيلة أبيه ، يقول في ذلك :

تداركَ ، عَوداً ، بعدَ ما ساءَ ظَنُّها ∴ بماوانَ عِرقٌ من أسامة أزهرُ

هُم عيّروني أنّ أُمّي غريبةٌ ∴ وهل في كريمٍ ماجدٍ ما يُعيَّرُ ؟ [٨٠]

وقد اهتم بذكر موضع إقامتهم هنا، وهو ماوان اهتماما به ، وحرصا منه على الافتخار بانتسابه لهذا المكان الذي ينتمي إليه .

ثم ينتقل عروة إلى سياق آخر من سياقات ذكر المكان ، وهو يختلف اختلافا جذريا عن السياق السابق ؛ حيث نراه في هذا السياق الفارس المغوار ، الفاتك الذي يعدد أماكن إغارته على أعدائه ، مفتخرا بهذه المواطن والمواضع

(٧٨) شرح الديوان ص ١٢٧ .
(٧٩) الديوان ص ٣٩ .
(٨٠) الديوان ص ٣٩ ، ٤٠ ، وشرح الديوان ص ١٣١ .

التي يغزوها ، ومنها غارته على أهل نجد ، وأهل الجبل ، والنقب (وهي الطرق في الجبال من الحجاز) [٨١] يقول مصورا ذلك :

فيوماً على غَارات نجدٍ وأهلها ∴ ويوماً بأرض ذات شت وعرعر

ينـاقلن بالشمطِ الكرامِ أُولِي القُوى ∴ نِقَابَ الحِجَازِ فِي السَّرِيحِ المُسَيَّرِ [٨٢]

إن المقام – هنا – مقام تفاخر بالقوة والغلبة ، وإنما تعد الغلبة في هذا المجتمع بكثرة الغزوات ، وكثرة من يستطيع هذا الفارس أن يتغلب عليهم من أهل القبائل ، وتعداد هذه المواضع يدل على قوة عروة ، وشدة بأسه ، وغلبته .

وبهذا يمكن القول : إن عروة قد وظف حديثه عن الآخر الجماد في شعره في سياقات متعددة ، إلا أن الناظر إلى هذه السياقات يرى أنها – جميعها – تُرَسِّخ لفكرة واحدة وهي تأكيد شجاعة الشاعر ، وقوته ، وقدرته على غلبة أعدائه ، وكرمه مع قومه ، وحرصه على الوقوف بجانبهم وقت الشدة والضيق .

يضاف إلى ذلك أنه لم يفرد شيئا من شعره للوصف المجرد لهذه الجمادات ، وهذا دليل على عدم ترفه ، فإن الوصف المجرد يأتي في مرحلة من مراحل الترف التي تعطي الإنسان الوقت الكافي للتأمل في الأشياء ، ووصفها ، أما شاعرنا فهو مهموم بما يعانيه من فقر هو وأصحابه ، ومشغول بالغزو والإغارة ، فلا مجال عنده للرفاهية والترف ، ولا وقت للحديث المفرد عن هذه الأشياء للتندر أو الظرف ، فهو يريد توصيل أفكار محددة مركزة ، ويبدو لي أنه استطاع أن يفعل ذلك بما له من موهبة شعرية بديعة ، وقدرة فنية رائعة .

(٨١) شرح الديوان ص ٨٥ .
(٨٢) الديوان ص ٣٨ ، شت وعرعر : نوعان من الشجر . .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد ،

فقد عشت مع عروة بن الورد قراءة متأنية في محاولة جاهدة مني – قدر الاستطاعة – لاستبطان العالم الداخلي لعروة ، واستجلاء موقفه من الآخر على اختلاف أنماطه وأشكاله ، لإظهار أهم الملامح النفسية لهذا الشاعر الذي أجبر الكثيرين على النظر في شعره ، وقراءة سيرته ، واحترامه بعد ذلك ، ولا أدعي الإلمام بكل الجوانب النفسية لعروة بن الورد ، فإن هذه الصفحات أقل من أن تنهض بهذا ، وإنما هي مجرد قراءة أولى ، لاكتشاف الخطوط العريضة للكشف عن موقف عروة بن الورد من الآخر .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدارسة قد عُنيت أول ما عُنيت بتحديد المفاهيم الخاصة بها وأهمها مفهوم الآخر حتى يكون المتلقي قادرا على معرفة أبعاد الدراسة ، فضلا عن إظهار أسباب اختيار عروة بن الورد دون غيره من أقرانه من الشعراء ، ويمكن القول إن أهم النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة هي :

أولا : تعددت أشكال الآخر في شعر عروة بن الورد ما بين الآخر الإنسان ، والآخر الحيوان ، والآخر الجماد ، وذلك أمر حتمته ظروف الطبيعة حيث إن الإنسان كائن يعيش في مجتمع يشتمل على هذه المكونات التي تلزمه الحاجة للتعامل معها مهما كانت الحالة أو الظرف .

ثانيا : برزت لعروة بن الورد العديد من السمات الشخصية ، والطبائع الإنسانية التي جعلته شخصا مميزا في عصره ، ولفتت إليه انتباه الكثيرين ، وذلك للنزعة الاجتماعية الظاهرة في مسيرة حياته .

ثالثا : عاش عروة بن الورد معاناة نفسية كبيرة تجسدت في ما لحقه من عار من ناحية نسب أمه ، وهذا الموقف جعل علاقته يشوبها نوع من القلق والتوتر

مع قبيلته ، ورغم ذلك نلحظ في بعض المواطن من شعره عدم تخليه عنهم وقت الشدة ، وفي الضيق والملمات التي تصيبهم .

رابعا : حاول عروة بن الورد من خلال علاقته بأصحابه أن يقدم لهم النموذج المثالي للفارس المقدام المضحي الذي يؤثر أصحابه على نفسه ، ويقدمهم عليه ، رغم ما قد يلقاه من بعضهم من نكران للجميل .

خامسا : قامت المرأة بدور بارز في حياة عروة ، ورغم هذا البروز ، فقد كان دورا يتسم بالازدواجية وعدم الاطراد فنجدها في مواطن تدعوه للغزو والغارة والجري وراء المال ، وتارة أخرى تظهر خوفها عليه ، وحرصها على حياته وكما وجدنا موقفا مضطربا من عروة أيضا ، فتارة يتلقى الكلام بسلبية وعدم مبالاة ، وتارة أخرى يدافع وينافح عن نفسه ومبادئه .

سادسا : جسد الحب في حياة عروة كثيرًا من المعاني السامية التي انعكس أثرها في شعره ، وأظهر مدة معاناته التي عاشها بعد أن فارقته سلمى ، ومالت إلى أهلها مع ثقته الكاملة في حبها له ، إلا أنها خذلته ، فأثر ذلك فيه كثيرا ، وتجلت تلك المعاني في شعره عنها .

سابعا : لم تكن المرأة في شعر عروة هي الأم أو الحبيبة فقط ، ولكنها كانت الجارة أيضا ، وقد سطر فيها بيتا واحدا ، ولكني أرى أنه من أروع أبياته التي تجسد أخلاق الفارس العربي الأبي ، صاحب النخوة والقوة ، والذي يرعى حقوق جارته ، ويحفظ كرامتها .

ثامنا : تكلم عروة في شعره عن الآخر غير الإنسان متمثلا في الحيوان، والجماد، والمكان ، ولكننا نلحظ عدة أشياء عند حديثه عن هذا الآخر :

- كان لعروة فلسفة أدعي أنها فلسفة خاصة ، حيث إنه لم يهتم بوصف تلك الحيوانات أو الجمادات أو الأماكن لمجرد الوصف أو التندر بها ، كما هو الحال مع شعراء الترف والحياة الرغيدة .
- يمكن القول إنه وظف حديثه عن الحيوانات في سياق التأكيد على شجاعته ، وقوته ، وفروسيته ، كما استطاع أن يوظف الحديث عن الحيوانات الأليفة منها في سياق التأكيد على كرمه وجوده وسخائه .

- كما أنه وظف الحديث عن الجمادات في سياق التأكيد على كرمه وجوده في الحديث عن قدور الطعام وغيرها من الأواني ، كما صور مدى صعوبة الحياة التي يعيشها في موطن الحديث عن فراشه ، وكذلك مدى حرصه على مشاركة الفقير لفراشه وطعامه ، وهي كلها تؤكد معنى واحدًا هو كرمه وجوده .
- كان حديث عروة عن المكان حديثًا له شقان :
- الأول الحديث المتصل بالمحبوبة ، والذي بدا لي أنه سار في ركاب أقرانه من الشعراء حيث بكاء الأطلال والنحيب على رحيل الأحبة ، والدعاء بالسقيا لهذه المواضع .
- الثاني : الحديث المتصل بأماكن الغزو والإغارة على بعض القبائل ، وهو في ذلك استطاع أن يوظف المكان توظيفا يخدم غرضه حيث التأكيد على أنه ذلك الفارس الشجاع الذي لا يشق له غبار .

تاسعا : عروة بن الورد حالة شعرية متميزة اجتمع فيها الكثير من المتناقضات التي يرجع سببها الرئيس إلى تلك المعاناة النفسية التي عاشها عروة ، فضلا عن ذلك فإنه رغم تلك الحالة حاول أن يؤسس لحركة اجتماعية اشتراكية قد يكون هو الرائد في الدعوة لها .

عاشرا : لم يكن شعر عروة شعرا تقليدا في كثير من المواطن ، فقد وظف الحديث في مجمل شعره للتأكيد على معانى الشجاعة والكرم والسخاء والتعاون والبذل، والتضحية في سبيل الآخر ، وهي معانٍ قل أن تجدها عند غيره من شعراء عصره .

وأخيرا، فهذا عملي وهو عمل المقصر الذي لم يحط بكل دقائق الموضوع، ولكن حسبي أني قد بذلت ما في وسعي لعلي أصل إلى بعض ما أريد ، وما توفيقي إلا بالله ، فما كان من خطأ فمني ، وما كان من صواب فمن الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (تبارك من أنزله).
- الأعلام لخير الدين الزركلى – ط دار العلم للملايين – بيـــروت – لبنـــان – الطبعة الخامسة عشرة .
- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى – ط دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٤ م .
- تاج العروس للزبيدى – ط دار الهداية – دون إشارة إلى تاريخ الطبع.
- تاريخ الأدب العربى (العصر الجـــاهلى) للـــدكتور/ شـــوقى ضـــيف – ط دار المعارف بالقاهرة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى – تحقيق / محمد عوض مرعب – ط دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .
- جمهرة اللغة لابن دريد الأزدى – تحقيق / رمزى منير بعلبكى – ط دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .
- ديوان عروة بن الورد – ط دار صادر – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- شرح ديوان عروة بن الورد العبسى لابن السكيت – ط كلية الآداب بالجزائر – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى – للدكتور/ يوســـف خليـــف – ط دار المعارف بالقاهرة – الطبعة الرابعة .
- شعر الصعاليك – منهجه وخصائصه للدكتور/ عبدالحليم حفنى – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٨٧ م .
- الصعاليك والمجتمع الجاهلى : بحث لعبد الله محمد طاهر – منشور فى مجلة التراث العربى – دمشق – العدد ١٢٠ – نيسان (أبريل) ٢٠٠١ م .

- الصعلكة والفتوة فى الإسلام لأحمد أمين – ط مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة ٢٠١٢ م .
- صورة الأنا والآخر فى شعر محمد مصطفى الغمارى – رسالة ماجستير للباحثة / سلاف بوحلايس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الجزائر ٢٠٠٩ م .
- كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن على التهانوى – مكتبة لبنان١٩٩٦م.
- لسان العرب لابن منظور – ط دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .
- مختار الصحاح للرازى – تحقيق / يوسف الشيخ – ط المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- المرأة فى شعر الصعاليك فى الجاهلية والإسلام – رسالة ماجستير للباحث/ أحمد سلمان مهنا – ط الجامعة الإسلامية بغزة – مكتبة الآداب – قسم اللغة العربية ٢٠٠٧ م .
- المصباح المنير للفيومى – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

﴿ تم بحمد الله تعالى ﴾